البدل والمبدل منــه

أحمــــد حســــن

نـــص



أسسها :
د. حسين على محمد
أبريل ١٩٨٠

مستشارو التحرير :
د. أحمد زلط
أحمد فضل شبلول
بدر بدير
د. صابر عبد الدايم
محمد سعد بيومي

رئيس التحرير
د. حسين على محمد

مدير التحرير
مجدي جعفر

سكرتير التحرير :
فرج مجاهد عبد الوهاب

المراسلات : ١٣ ش مدرسة التجارة - درب نجم - شرقية
مجدي محمود جعفر ٣٧٦٧٩٨٦ / ٠٥٥

إلى

والدي أروع تجربة في إمكان ولد

وَسلوى بعينيها.

﴿والمهندس فهمي عامر

وَإكرامي قورة﴾

زَمَنا إذا أرَدته أن تَبقى فيه

فَهُوَ في غنىً عنكَ..

وَإن كانَ إجبارٌ خفيّ يزرعُ فيكَ حَركة النّهر

الأرض

الهَواء

فَتُقلّد..

ليسَ رَجلا مثلي أو مثلكَ، لكنّه رَجلُ زمنٌ..

وَسوفَ تُريدُ أن تَبقى

.....

وإلى

أحمد حسن..

سيدي الملك شهر يار

سيدتي شهر زاد

أعرف أن كهنة القصر سوف يجمعون على أني مزج كافر

أو مجنون ......

لكن صدقاني كان بودي أن أبقى معكما: أقبل كفك

الكريم يا أبي صبحا ومساء، وأحرس أرض، حكاياتك يا سيدتي.. أرد بعضاً من

بذلكما لأجلي .... آه..

ليست تسعفني أعذار...

إنها قد سقطتا بالفعل سقطت مني، ولن أجدها .. أو على الأقل لن أحاول أن أجدها في

الوقت الراهن..

أقسم لكما إن حقيبة أعذاري قد سقطت مني عمداً من فوق جبل المقطم حين

تأكدت عن قرب أن (كامل الكفراوي) كان غابة مزروعة بجدران ملونة. من يومها

ولا لغة بيني وبين جدار، وقصركما جدران في جدران حتى حدائقه مسورة......

ها هاّ هاّ .....حتى شقتي!! شقتي لم أعد أتعامل معها برقتي القديمة

مولاي

أغادر القصر وأنا أعرف أن للتشرد متاعبه!

قد أعود؟!! بالفعل قد أعود مرة أخرى فتعاتبني !!!!!!!!!!!! وأقدّم العذر: أنني

اعتقدت تشردي في ذلك الوقت فكرة صائبة!

تأكّدا أنني لن أنسى طعم كفيك، ولا لذة سهراتك يا سيدتي حارساً وقارئاً

مطيعاً..

سأزرع لكما في كل شارع أبيت فيه شجرة

ابنكما البار/ أحمد حسن



﴿قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ ///

...... المفتاح - ١-

في انمزاج متأثر مشوب ببكاء تهادى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا ربكم../

وكان صمت طويل بمعيار عمقه ، ومبتور بمعيار وقته؛ فرجل يجر لهاثه، أو يجره لهاثه -حسب قدرتك، وزاوية تصورك- طرق البوابة الحديـ...

أنا آسف يا ذبياني ، كان لهاثك لا بأس به كما أحتاج لا ريب، لكنني أتساءل: ما كان قصد أبي حامد من قراءة تيك الآية، يقلقني أن يتحرك لا شعوري في أوراقي ولا وجه له. ترى ماذا قصدتُ ؟!...... ماذا (((ت)))/

- / أيها الحفيد الضائع أيكون انتظاري كأرض الله؟!

- إنما يوفى الصابرون أجرهم.

- وناقتي؟! ناقتي ما ذنبها حتى يقطّعها سفر ألف وأربعمائة وما يدور حول خمسين سنة؟!

- ولم لم تقدم العذر أنت!

- تلميح سخيف!

- .../ أعتذر يا جدي، ما قصدت أن كلينا شاعر: عقوبة أديتها أنت وها دوري لا يفك يديه عن عنقي حتى يتم، تكفيني واحدة يا جدا.. ولا أجبرك على البقاء إلا بحنين الدم تبقى!

- حسناً.. لم أقصد غير عتاب يا ولد! ها.. ما رأيك في اضطراب وجهي وأنا أدق البوابة؟ هل أعجبتك؟ لابد أن أكون قد أعجبتك فقد بذلت مجهوداً لم أرزق بمثل طاقته إلا في حضرة النعمان!

مالك يا ولد؟! ألم تزل موجوع الخاطر مني، إن تفسيراً لعندي: حين اندمجت في الدور لم يُرْضِني أنك حولت انتباهك عني.. ألم تَذُقْ مُرَّ ذلك؟ بل قد ذقتَهُ إذ تشتري هدية بما يسعف جيبَك من مالٍ ثم تلفي

المُهدى إليه بارداً في الترحيب بها.. بهديتك، يأخذها منك ببطء غير مهتم، وبعد نظرة وابتسامة كأنها منتج بلاستيكي يركن هديتك إلى جانبه.. أعرف أنك وقتها لا تفعل سوى تحزن، وتيه معتاد يكسو امتدادات عينيك، لكن الاتجاه بعكسه الآن فَمُقَدِمُ الهدية هو الأب............ آه يبدو أنى نقلت نقلا سيئاً للمرة الثانية في حياتي... كأن المتجردة عادت. لكني لن أجبرك على الرضا....- -... إلا بحنين الدم ترضى.

- ذرني أقبل كفيك!

- يا بنيَّ مرايا لوحتك ورقية، لا كفوف لها. ها أنا مستعد، وأنت.. مارس عملك هيا، ولا تؤجل عقوبة اليوم إلى الغد.. هيا اكتب:
"كان صمت طويل بمعيار/..

- .../صمت طويل بمعيار عمقه مبتور بمعيار وقته؛ فرجل يجر لهاثه متسلسلاً أو يجره لهاثه/

- / تعجبني تلك الصورة يا ولد!!

- حقا؟!!!!!!!!! !!! !!!!!!!! ؟
شد ما احتاجت الأرض إلى نقطة ماء! (..

- ها.. قلت محفزاً، لا كي تطبق علي عقوبة انتظار ثانية ها "أو يجره لهاثه/..

- /نعم "أو يجره لهاثه –حسب قدرتك أو زاوية تصورك– طرق البوابة الحديدية الحمراء، بوجه هو تَلَفُّتٌ كاد يثنِّيَه اتِّجاه البّوابَةِ.. مَقْطُوع الصوت من فزع راح من بين انفراجات البوابة تتقافز عيناه كأرنبين جائعين فأراح بالهما ما سمعاه من أن حقلاً قريباً فيه للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة. بعد قليل من الهدوء ألح عليه الفزع الأول فتذكره ونادى:

- هارب، وتعبت ذات السنامين معي: آه يحل أعصابي أن النعمان في أثرى، ضاقت على أرضه فاندفقت وناقتي في أرض الله الواسعة، أدركني أيها القارئ الكريم وافتح:

- ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾/

- /نعم.. الصبر الصبر يا رب!

ومرَّت لحظاتُ قَرْضِ أظافرِهِ بغير سلام، كأنما طَفَرَ من دم الأظافر السائل ماردُ الفزع، فأضجع النابغة في كابوس ماسك، وراح المضطجع

يكابده حتى أفلح برمي نداء يشبه عجوزاً مطارداً، رماه من بين حديد البوابة.

- يا سيدي القارئ،

افتح،

هو الّيل ...... في أثرى

ضيَّقت انبساطا تـــ ـــتـ ـتـــه أرضَ الله في عيني أكاد -أكاد لا أرى شيئاً...... افتح،

لا جربت إدراكه ...آ....هههه هههـ هه

يغلق أبو حامد المصحف بعد أن خلل باللسان القماشي بين صفحتي القراءة، متداخل هو آخر وقت إغلاق المصحف والتخليل بين الصفحتين مع أول وقت إغلاق عينيه فاركاً إياهما بمؤخرتي إبهاميه والتخليل بين شفتيه بلسانٍ كائنٍ/..

- (!)

- لا وقت يا رجل! افتح.

- (؟ ، !)

- نعم أنا.. أنا يا أبا حامد، والله أنا.

- ؟!

- حقا والله... حقا بأمارة مرة التقائنا عند (فلان الفلاني) ذلك التعس الذي اعتاد أن يخرجني كجثة من تابوته العظْميّ يراجع تفاصيل جسدي -كأنني امرأة أمامه- كل بضعة أيام وبعدها يخزنني في التابوت إلى محاضرة أخرى

- إذن هو أنتذ .... يا أهلاً... أهلاً وسهلاً.

وفى سرعة المرحب اعتذاراً عن تأخره هب ناحية البوابة نازلاً وليس وجهه إلا بيتاً شرفتاه مرفوعتا الستائر، وعمود الأنف تحته الفم دائرة مفتوحة، لكن سقوط العمود فيها غير متوقع! وبشوق -لا أجزم بأن أبا حامد جربه مع النابغة قبلاً، ولا أحكم بأنه لم يكن- يفرش أبو حامد ذراعيه، فيلبد تحتهما النابغة كابن.

- أهلاً.. أهلاً يا رقة الاعتذار كلها... كيف حالـ/( ) قدْ يا صاحبي..

أية بحيرة من العرق هي أنت، وقلبك زلزال ياباني.

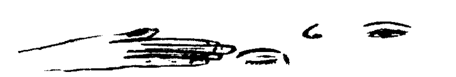
-

- الليل؟

-

- أما كان أدركك في الزمن الأول والأمر انتهى؟! أذكر إذ أدركك وأنت نائم متعباً تحت قصيدة زرعتها اعتذاراً له فلما ذاقها ربت على كتفيك، وضحك عن شمس صير ت في عينيك الملوك كواكب

-



لم يكذب أبو حامد خبراً أمسك بيد النابغة الممدودة يسنده رفيقا كأب. ركل

البوابة بكعبه، واصطحبه إلى الداخل ذراعاً تحت إبط، وكفاً ماسكة بكف. أطبقت البوابة فكيها وانحبس اللسان.

- مالك خفيفاً كأنك لم تطعم عطايا ملكك من زمن بعيد! لعلك أدركت

أن للتابوت فائدته التي لا تعادلها أدرينااليات الدنيا كلها <<آه إني -للأسف- لم أجد علامة ترقيم للسخرية غير هذه>>

- ليتها دامت << يبدو أنك فهمت إلى أي مدى كان الذبياني متأثرا.. ولكن لم تحدد هل كان ساخرا أم متحسرا؟ وهل كان انفعاله ممزوجا بمشاعر أخرى غير هذين الشعورين؟ للأسف لم أجد علامة للتحسر غير هذه، وإذا استهواك أن ترى الأمر سخرية فقد أكون أنا المخطئ>>

- (! ..)

- أولن يبرز من ملامحك أبداً غير عمود أنفك ذ وضمة فمك المدورة كأنما تنتظر سقوطي فيها؟؟!!

- الباب.

باب خشبي عريض، خلال متريْ طولِهِ لم يُجَرِّعْهُ الزمانُ -كأي فرد صفَّرَهُ المرض- ولو قطرة دهان يتيمة. مستطيل بارزة أضلاعه من جلد ذلك المريض مستدير في قمته وقاعدته، وكأن الأضلاع البارزة تركةٌ تَنَازَعَهَا بينهم طولا الباب وعرضاه، فَمَدَّ كل جانب ما استطاع من أذرع. كان أقوى -إذ ترى- ذراعٌ أسفل وذراعٌ أعلى، بينما رفض الضلعان الجانبيان طاعة الطولين فاحتفظا باستقامة لا بأس بها أو كان الطولان بنتين ضعيفتين رضيتا بأن تبقيا تحت أجنحة أخويهما بلا عداء بينهم.

وحتى تفهموا الباب فهما أعمق فلابد من إخباريكم بفراغ المستطيل إلا من أرضية الباب.

وبكتفه اليسرى دفع الباب حتى يدخل صاحبه.

المفتاح - ٢ -

أنا قالها: الدكتور ،

الصوفي،
الشيخ،
الشاعر،
المحلل،

(أنا).. في صوت واحد، نحن/.. آسف يا ذبياني للمرة الثانية. في "نص البدل" كانت الحجر ة بدائية إلا في مشهد السرير،أما الآن فالحجرة بلا أثاث، وأنت كمبدل منه لك حضور عنكبي العلاقات كطرق المدينة، امتدت خيوطه من إخفائها البدل إلى إخفائها التفكير في إعادة أثاث الحجرة لأجل استقبالك. لكن ألا تعتقد أنها تجربة أدرينالية جداً أن تعيش علاقة نحوية لم يكتبها أحد قبلك!.... أو كتبها!

لتكن استراحة قصيرة نعيد فيها أثاث الحجرة، ساعدْهُ يا ابن سيرين في إزاحة ذلك اللاصق الأبيض حتى يمارس حجمه الحقيقيّ بلحمه وشحمه وأينْ رجليه جيداً. وأنت يا صوفيّنا القريب أطفئ بعض ذه الألوان الفاقعة؛ لعلني أنال قسطاً من الهدوء. أما أنتم يا أهل تدفقي موتاً بينكم إذ كنتم أجساداً مُتْحَفِيَّةً وبينكم إذ نفخت فيكم من (روحي...
وبياض أعصابي..
و ..)

أرسلت فيكم فأعرضتم في البدء كثيران برية، وسفكتم أحباري حتى لقد سقطت أنا نفسي مرات تحت أرجلكم، وها أنتم –هؤلاء- تصدقون انفعالاتي، قَدْنِي! إنها لذة الخلق جذابة هي بيننا كصداقة قديمة. فيا أصدقائي اشهدوا وأنا معكم – أنكم قريبون مني جداً، قريبون قرب انزعاجي من اسوداد دمى وإرهاق أعصابي وإيشاك روحى أن يُنْفِدَها النفخُ فيكم....

وإياكم أن تطمحوا يا نبضاتي المرسومة في جنة ونعيم في غير مخطوطتي؛ فلست أرى إلا عيدان الكبريت تُلَعِّبُ ألسنتها، ومدرجات حول الأخدود طافحة بجمهور يستمتع في أحضان الدفء التي توسِّعُها أجسامكم وهى تُحْرَقُ كذنوب غير مغفورة، أو كفئران لا مذهب للناس فيها.

أما أنتم -أيها الجمهور- فأنا يسعدني أن تحتفظ في علبتك بثقاب أخرى

وأخرى، لكن ليس بقدر سعادتي من أنى خلقت علاقة جديدة تعترف بوجودي وأفهمها!

ات

تصفيقـــة حاثة، تسبغ على أرض اللوحة سجادة بين طوليها وأحد العرضين الذي لا يلي الباب إلا بعد فاصل عَرْضٍ قبله ⁐ <<علامة ترقيم تعنى ارتباط الجملة الجائية بجملة قبلها وبينهما اتساع كلامي>> وبين جدران الحجرة مسافة لا تطيق إلا حضور كنبه ليس من أمامها ولا من خلفها إلا السجادة أو الجدار.

بعد أن تأكد للشيخ "ابن سيرين " خلوُّ السجادة من انزعاج ناظر اليها نهض بسؤال من الدكتور أن يتعاون مع "أبى حامد" في إحضار المنضدة، وليكن المفرش نظيفاً ومكوياً، وأشار إلى ماكينة إلى جانب الجدار.... وقتها كان في الحسبان أن يستغرب "ابن سيرين"؛ لأنه اعتقد أن لا فائدة في أن يكون المفرش نظيفا ما دام سيكوى، ولماذا نكويه والكوْيُ مرحلة إلى الاحتراق، وفوق هذا وهذاك تلك الآلة أين باب تجويفها الذي يحمل النار طيه ⁐ ولكن الشيخ أربك الموقف، فالدكتور بعد أن طال انتظاره لأن ترتسم علامة الاستغراب على وجه "ابن سيرين"، ولما لم ترتسم قعد؛ فلم يكن مكلفاً في تلك اللحظات إلا بالإجابة على استفسارات "ابن سيرين "التي ذكرتها سالفاً، فلما طال القعود أبدى

الشيخ استغراباً، فوقف الدكتور "مصطفى" وقفته الأولى وراح يقول: إنها آلـ/..

- /عفوا يا دكتور قد فسرت هذا بنفسي والذي أستغرب منه قعودك!
- وأنا قعدت لأنك لم تستغرب!
- أه ..حقاً (علامة ترقيم حين يفقد السؤال التعجبي معناه)
-

-[<<علامة ترقيم تعنى استفهاماً تعلنه العين منزوعة الجفن استشراقاً، أو يتضح من اتصال خط العين بقمة الأنف الذي يكاد يسقط في دائرة الفم المتعجبة>>

- آه أي قطار من الضباب تكسو صفارته ذلك الموقف النافر؟! وما اختلاف الدكتور عن تعجب أبى حامد؟
- دكتور ؟ <<ترقيم تعجب واستفهام ليس إلى مخاطب أصل العلامة كلمة "ذاتي" حذفت الذال وصارت نقطتها إلى الألف، ويجوز لك أن تضع النقطة تحت الألف على الأشهر ترقيماً / وفى لغة من يضع الهمز تحت ألف الضمير المرفوع "أنت". كنت أقرأ ذلك وأنا وحدي فتعجبت لحسن التأويل مع نفسي وتساءلت عن سبب حذف آخر الياء وإبقاء مقدمتها فقط، لكن فجأتني تلك النقطة التحتانية وهى علامة ترقيم معروفة تكون في آ خر الكلام فأبقيت على تساؤلي داخلي. ويجوز لك في التاء عدم النقط كالكتابة القديمة وهو الذي اشتهر ترقيماً، أو إبقاء النقطتين وهو الأصح، وقليل>>

.... أي دكتور؟!

- صاحب الترقيم الوجهي أثارني سالفاً.
- ألم يكن الأستاذ مصطفى مدرس الكيمياء في ثانويتي العامة؟!

... آه، إنه هو!! وي. كيف انبث في أوراقي؟

- مصطفى المدرس ؤ ﲿ <<حركز يا عزيزي القارئ. السائل نفسه ـالآن- هو أنت، حتى أن العلامة على احتمال إضافي في أصلها ضمير الرفع "أنت" حسب إحدى اللهجات بنقطة تحت الألف، وفوقه على الأفصح، وحسب علميتها بين أمة الترقيم فالأشهر تحتانية النقطة، وعلى لغة واحدة فوقانيتها، أولها ألف والنقطة فوقها أصلها همز ولكن لكثرة استعمالها في المنشآت الحكومية نقطة، أبدلت عن الهمزة، بعدها نون تحتانية نقطتها تحت نبرتها المتطرفة، وتحمل فوق رأسها تاء الخطاب فارقة بين المتكلم والمخاطب. الآن ركِز واسأل نفسك متعجباً.
صعوبة التعبير قاسية جداً فساعدني.. أرجوك>>

- وهل من أبى حامد آخر (؟! . . . أو !؟)

- لا! صرت لا تطاق أيها المتسلل. هل جئت تقرأ فضيحة ريفية مثيرة؟! إنني أحتاج إلى الراحة بعض الوقت فإليك عنى!

- [illegible] ؟؟؟

....

- ......، أ......، عذ... عذراً أيها الصديق! يبدو أنني عاملتك بجفاف وقسوة، ولكن.. /هل تتركني ؟

- هي رغبتك؛ ألم تشطب دوري في الحوار من ثانية واحدة؟

- لا، ابق... ابق وتحدث فيما تريد!

- فما اختلافه عن أبى حامد؟

- نزع الجفن عن رفع الستائر!

- لكنها عين واحدة؟

- يقلقني وراءُ بوابة الحلم!

- وتتوقع سقوط العمود؟

- في الكهف المحفور كمصب قديم يتشهّى أصوات السقوط، وفطري كغابة.. آه من شهوانية عملاق سادي إذا جرت صحة في دمه!!

- وأنت صاحب ذلك القطار ؟

- للأسف.

- آه يا مسكين وأنت لا تر ى من القطار إلا صفارته المتدفقة كمكيدة امرأة.

- امرأة ... امرأة .. امرأة، لا امرأة رجل!

- امرأة رجل. تعنى شاذة أو أصيلة؟

- لا.

- أسألك زيادة ؟

- عن المرأة

- تاك

- لا

- ....،المهم: لماذا نسى ابن سيرين

- هي الأهم في حياتي، وأسأل الله ألا تظل.

- أحدثك عنها!؟

- لا.

- تحبها لتيك الدرجة؟

- أحتاج إليها أكثر منى إذا غبت عن صافور.. ليس إلى كلّها

- تنسكب في تجاويفها

- أنت ذكى بما لا يكفى

- .....؟ ..إذن/

- /ابن سيرين

ليس هو ابن سيرين أو كان ولم يبق إياه.. اسأله إن وجدته...

../ لا لا! لا تقلب الصفحة؛ المكان ظلام مرعب، وأخاف أن أبقى وحدي

- لحظة واحدة أحضر فيها ابن سيرين لنسأله.

- ابحث عنه عبر ذلك الجهاز، أو فكر في زمن قديم.. انظـر إنـه تقطع هنالك موجات تلو أخرى.

- لا

هو قبل جدار القوس الذي يضمنا الآن. دعني أذهب و أحضره.

- قلت لك لم يعـد إيـاه: ضـاعت ملامحـه العربيـة المعروفـة صار ا سا ما

- .....،هو الآن ينسرب عبري بلا إرادة مني: عاد إلى زمن الكتابة العربية القديمة، أو هي من عادت إليه، يكتب بغير نقط. أو قـل: لـم يتغيب أحدهما عن الآخر؛ إنها الكتابة القديمة بلا قدرتي على قراءتهـا نفسها صارت هو نفسه بقدرتي على كتابة اسمه منقوطاً. كيف لم أتبين ذلك من زمن؟

عاش بدين متيقظ كعيني ضمير، وفكّ شفرة حركات العين السـريعة وقت النوم.

وآااااهـــ!! إنه فوق ذا يحتمي بطاقات العلم الحديث فـي الجهـاز ولكنه لا يستطيع أن يمتنع من طاقات الحروف الأولى بلا قدرتي علـى قراءتها، وإنها تخترقني بلا وجه مؤكد .

آ ا ههه هه هااه... الأول انشق الأنا الأعلى عن الهو. وعبر شاشة الجهاز يصحو الأنا الأعلى مع بداية الراء، ويهاجم الهو فتطغى موجة انفعالي ثم تخف في الياء؛ فالأصل أو الطبع يغلب ويزنق الأنا الأعلى بين موجاته السينية الضيقة، ولكن/.....

هل يعني ضيق السين المفاجئ أن الأنا / الأعلى يختنق **أم/**

/(... - أنت تملك أربعاً وعشرين سنة، تلك سن لا نعتبر فيها اليتيم يتيماً.

- وهل تعتقد حلا في هجوم الأنا /الأعلى ؟؟؟،هو يمرضني أكثر.

- ليس من خيار إلا أن تتعامل كأب بحكم سنك الآن؟
- ولكن لم يهاجمني الآن؟ وهنالك رغبات البنوة في نص البدل هنالك.
- وي! ألم تقل (ابن سيرين) أليست تأكل استغرابك كلمة (ابن)، وبالغت إذ جعلتها بالكتابة القديمة تعمية وتلذذاً محتالاً في خفاء، ويدعى استغرابك أنك لم تفعل...)

بعد تيك المحاورة لم يعد في إمكاني أن أخبرك بما بعد **أم** التعيينية رغم أنها تنتظر على أمل، حتى لا تتهمني بالأنانية و..

/(- ولكني أسال بكيفية انفطار الأنا / الأعلى بغير أب دائم؟

....

- إني تعبت)

بعد تمكن الهو من رد الهجوم الأنوي، يلتذ برغبته أن يكون ابناً في اتجاه السهم ابن، وأحسب الموجات تعتدل هنا ولا تضطرب، وذلك يؤكد طهر مكبوتي المهاجَم. انتبه! وي! (أول الاسم/آخر السهم) يشبه (آخر الاسم أول السهم). آه يبدو أن حياتي أولها ابن وآخرها ابـن: إحاطة غريبة لكنها توفر لي لذة أغرب!

/(- . . ..

- ألم أقل لك؟ لست ضد بنوتك، لكن يستحيل أن تعيش قصيدة مدورة تنتهي بنفس بدايتها، ولا سبيل إلى قراءتها مرة أخرى. لا أطالبك بالكثير: فقط حاول بقدر الإمكان أن تتفاهم مع سنوات عمرك كلها؛ كل سنة بلغتها.
- إن كانت البداية "ابن" ومثلها النهاية، فكلمة "سيرين" تقع موقع "أب" (ابن أب) فلعلها تقدم عذري وتقنعك بأني حاولت وبرهاني خمسة أحرف "سيرين"، أما "ابن" فهي حرفان احتاجا إلى سند في حياتهما كأي طفل صغير فزيد الألف. محاولتي ثابتة ولكن إنجاحها صعب!
- سيرين ليس اسم أبيك الدموي.

- رمز، وابن عقيل قال : قضية ولا أبا حسن لها.
- قلت سيرين وقصدت رمزية الآباء، وللرمز حدوده التي نعرفها، وجيء به لأجلها، لكن معنى "ابن"عندك صار غير محدود بل هو الحد الأول والأخير... البداية للبداية
- ما قصدك؟؟
- إفراغ توترات طاقة الهو ليس إلا إجراء مؤقتاً، وشعورك بالنبوة ساعة ثم يوماً ثم سنة أو طول عمرك كله لن يكون كفيلاً بإرضاء توتراتك، ها... لم تعد القضية قضية ولا أبا حسن لها صارت قضية ولا "ابن حسن" لها!
- أحب أبى جداً لكنه طالما أصر أن يقرأني كأنني جريدة حكومية وهو موظف غلبان!
- غير قادر.
- أنا؟!
- وهو.
- ؟والـ/
- /حاول. . . . .

...)

- ولكن أبى معيار أو هدف للعودة.
- اللذة..

لذة الأرانب إذ تجرى في أنحاء البيت<<اريك يرن>>، ولذة الكتابة القديمة كبدايات قرية ريفية أو كاتب من الصحراء يعبر عن رغبة الشوارع الرملية في التحرك حين لا يسقط المطر، ولتسقط قطرات النون والياء والباء في أرض أخرى، رغبة اللاقيود قدر استطاعتك؛ وضد رغبة (اللاقيود قدر استطاعتك، وليختلفوا في غير "تبينوا" و "تثبتوا" ألف مرة) أعلن الجهاز عن حصاره المصرّ، فاستغنى عن النقط؛ فقد صارت حيلة قديمة ومعروفة، ولكنه درس المسافة بين الأحرف المتوجة علوا وهبوطاً، امتداداً وضيقاً.. آه (أيها الهو الأول

المسكين) حتى لو كانت المسافات لصالحك الآن فإن أصدقاء ذلك الجهاز لديهم مليون تركيبة كيميائية إذا رصدوا أحد الأشباح من بلادك.

- أية وصلة بين حضارة الطب الحديث وبين فطرية الكتابة القديمة تنقر ملامحي فأبين كأرض عن بذور دهشة!

- وصلة عوان كالتي بين رسومي وبين كتابات الفراعنة أو تعرف؟ لم تكن مجرد علامة ترقيم منزوعة الجفن، لا! إنها محاورة لا ترجمة لها بيني وبيني، وجه لبسه هو كان للدكتور ثم انمسحت ملامحه إلا من إحساسي برائحة مواد كيميائية.

حقا جعلته حوارا للدكتور رغم أني لم أشعر بالدكتور وقتها موجوداً، بنيت قوساً كبيرا لعله يحجز الروائح عن أنفك، ورحت أجس نبضك، ولقد طمأنني سكونك آه! إنني كنت أكذب عليك... نعم كنت أكذب: إن فطرية الكتابة الفرعونية القديمة الفرعونية أعقد من دلالة استفهام تعجبيّ، إلى جانب أن لذتي وأنا أجلس في المعمل كانت تسبب لي إعياء نفسياً لا ينخفض قبل يومين.

آه منك!! لقد أربكتني بحديث القطار، حتى أني وقتها شعرت بأنك الذي تجس نبضي. لم أكن لأتصور أنك تذكر وجه أبى حامد إذ لم أرسمه ولكن كتبته. عندها كأنك أمسكت برأسي تدخلها في بحر لجيّ حتى قاعه وتخرجها.... تدخلها.. وتخرجها..

ولعل ذاكرتك ليست قوية بل فلتة لساني بألفاظ نزع الجفن والسقوط في المصب القديم...

إنني من ربكتي رجعت كطفل يخبئ شيئاً عن أمِّهِ، وكتبت جملة " لكن سقوط العمود فيها غير متوقع!"، وزدت الطين بلة إذ كتبتها بنفس القلم الذي كتبت به حوارنا، ولست أذكر أسباباً لفعلتي، وكأنما خبأ الطفل شيئه في برطمان السكر على صينية الشاي.

والحقيقة أنه لم يكن وجةٌ بشكل قاطع.. كنت أرى أنبوبة مائلة تصب في فتحة أنبوبة أخرى كمحاورة بين الكتابة الفرعونية بفطرة مفرداتها الطبعية وبين تحكم كيميائي ومقادير معمل...، وأحسست بوجه...

ها.. وصلة تنقرك كأرض عن بذور دهشة، وإنني طيلة أربعة وعشرين عاماً يتهامس الناس حول بيتي، ويزعجون أرانبي كأنها

فضائح ليلية. وليتهم ملائكة..! ليتهم ســألوني برفــق حتــى يعرفــوا ويعرّفوني أني أنتظر ابني المسافر..، لكنهم اكتفوا بــالهمس، وهــذاك البحر يطغى على بري

-#مفتاح#- ويجرفني بلا رحمتهم..

آه يا قافي ونوني

يا وداعي

بعد حرف تلو حرف

من صراعي

ألتقيكـــــــــــــا..

عم بلا خوف،

وبري في انتظار

فإذا عدت وأرضي من دمار

فادّكرْ بائي ورائي

وادّكرْ أني زرعت جميع أيامي

بزهر الشوق لـيـــــــــــــكـــا

- ....

- ....

- أنتظرك أن تفعل شيئاً أيها القارئ، افعل شيئاً..؛ تضيق المسافات جداً بعد موجة الراء الهائجة.

أدر وجهك ناحيتي! أين ثقابك؟؟

أخرجـــ/ واحرق تلكـ/ ـسرجها

واحرق الصفحـ/ تلكـ/ صفحه.

لا يكفيني تعاطفك الآن، أدركَتْنِي عظام المَوْجَاتِ.. أضيقُ، قلت لك: احرقها، وأيقظني.. لم أقصد أن أحلم حتى استقامة الموجات

أو حتى قرب استقامتها ⟶ ~~ [

أين أنت
أين.....
....

.....

آه لو أنبأت شاشة
الجهاز عما يعاصرني
الآن..

أيقظوني
أيقظ..
...........يقظ
....

[..............ظوني

ها.. ها الحمد لله تيقظت وها يدي البرونزية. أول مرة أشتاق إلى جلدي البرونزي.. ويْ.. ولا زجاجة معي.. يا ربي!!! لا زجاجة معي. نعم.. لا.

- أية زجاجة؟

- لما كسرت غطاءها -وكان معي ابن سيرين/..

- /ماذا وجدت فيها؟

- لم أجد فيها شيئاً، فرميتها ورائي، وبعدها أحسست بحك في ظهري.. حك لذيذ، استدرت فوجدت قطتي، وغلام خرج من الزجاجة..

نادى على القطة، حملها إلى بيت جدي القديم، صعد فوق "المصـطبة" التي تشبه منضدة حجرية من زمن الفراعنـة. صـرخت بنـت علـى المصطبة بلا سبب، فجاء عمها أو خالها. لا أذكر إلا أنه قريبها ثم ركل الغلام ركلة أسقطته من على المصطبة. فبكيت

- ولماذا تبكي أنت؟!

- لا أدري! كأنما ملامح الغلام قريبة مني جداً. مررت يدي علـى رأسه وكتفيه. كان لشعره رائحة اليتم. وفي الطريق ولج مدرسة بوابـة الثانوية إلى المعمل الكيميائي، وفي سرور الابن العائد من مغامرة قال:

- "لقد جئت/،

ورجل يميل أنبوبة لتصب عبر وصلة في أخرى، ومد يـده للغـلام يقبلها، لكن وقعت الأنبوبة على ظهر كف الكيميائي فأحرقها إلـى حـد أقعد الصبي فزعاً، كشفت الأنبوبة بعد سقوطها عن وجـه الكيميـائي وعينيه بلا جفن. وفجأة رمى الكيميائي الأنبوبة الأخرى ناحيـة وجـه الصغير.. وقتها ناديت على المدرسين بصوت مخنوق: "أيقظ.." فهـل سمعت صوتي وقتها؟

- بعدها ماذا رأيت؟

- رنت ضحكة أليس، فجرى الصغير من بين الأشجار كأنـه علـى موعد معها في بلاد العجائب. لكن كانت السماء تنذرني كأمي رأتنـي ألعب في عضوي التناسلي، أو كأختي الكبيرة وهي تضـربني بأيـدي أمطاره، وفجأة تسمر الغلام وصرخ؛ لم تعد أليس تلـك البنـت التـي ترقص في أحضان الرباب! لا، كانت امرأة عجوزاً وعاريـة. أخـذت القطة من الغلام غصباً عنه، وأنا أصرخ، وَرَمَتْهَا في حنك فـي حنـك ثعبان مخيف وقالت للثعبان: "يا صديقي".

سقط الغلام مغشياً عليه، فحملته إلى السرير في يوم صيفي الأنفاس جداً، سحب الملاءة على وجهه لأن أبي كان يأكل جانب السرير وكأنما سَدّ العرق مسامات الملاءة، فسحبتها. راح يرجوني أقتله ليرتاح.. لـم أوافق.. لكنني أخذت السكين وقطعت رقبته فاكتست يدي بدمه.... آه..

- لابد أنها كانت تجربة قا/

- /سية لدرجةِ جبلية الأمواج، لكن الحمد لله.. وها يدي البرونزيــة تحلف صادقة أنني لم أذبح أحداً ولا حتى هذا الولد المسكين.

- أنت مرهق!

- جداً... جداً.

- تحتاج إلى الراحة قليلاً؟

- نعم.. ولكن لتعرف أني ارتحت كثيراً لحديثك معي.. شــكراً يــا قارئي الصديق، كرسيك ينتظرك، وحتى أستعد لبقية النص..
آه لنقلب تلك الورقة العصبية.

-[أنا آسف نسيت أن أقفل القوس ....
....

ثم نهض الشيخ بسؤال من الدكتور أن يتعاون مع أبي حامد ولتكـ(واها.. من أدخلني ذلك القوس..؟ فلأخرج..)،
وليكن مفرشها نظيفاً ومكـ(واهاً..
أيها الملح كقضيب منتفخ.. من أنت؟
وأين مكانك؟....

آه أم تكون تلك البوابة هلاوس كتابية أ؟

حقاً قد تكون أ؟

آه يبدو أني بلغت ذروة تعبي؛ فها الحبر راحت تمر حيواناته في بطء النقطة الأخيرة والقلم ارتخى..
قدْ.. كيف تصبر وَرَقَتِي على ارتخائي إلى تيك الدرجة؟! فاعذريني يا سيدتي.. لم يعد في مقدوري أن أتعامل مع فنجال آخر. وهاك أناملي مارسي رعشتها، عاشري فيها أعباء عشرين فنجالاً من القهوة المُرّة في مَرّة واحدة... هل تسمحين لي يا سيدتي. يا التحفي بالغلاف جيداً أو مهدي لي صدرك أركن رأسي عليه..
خخخخخ..(سحب).. خخخ..(سحب)..

- يا فتى!

- فعلاً.. هي رغبتي؛ فعندي مشكلة أخرى.

- أحداث ما بعد حوارك أنت وذلك القوس جملة اعتراضية لا علاقة لها بالسياق..

- كيف تقرأ أفكاري؟!

- بل علامة الترقيم قبل وبعد القوس -[ ]-.

- المسألة صعبة يا رجل؛ فتجربة الموجات خلطتني كأية حبة طماطم ناضجة،

ولم أكن أتوقعها والقوس... كان أطول قوس أصادفه في كتاب: أربعة أيام وأنا أبحث عن بوابته الخلفية.

- وهل عندك رسم للموقف؟

- يبدو لي أن أحذف حوارهما، فهل تسمح يا سيدي الكريم أن تلقي تلك الورقات في سلة البيت أو مكتبك أو ارمها في الشارع إذا كنت تقعد على أحد المقاعد العامة.

- إذن فقد ضيعت وقتي في حديثك، ومالي في ورقك، وأنت تضيع الآن أربعة أيامك كأنها أربعة جنيهات مصرية!

- لكنك لم تقض في القوس معي أكثر من عشر دقائق ولنقل: إنك شربت فيهم فنجالي قهوةٍ، فيبقى لي عندك ثمن ثمانية عشر فنجالاً من البُنّ الثقيل، خذ منهم ثمن تانكما الورقتين، وليس عليك من ثمن طبعهما ثم احسب ما كسبته أنت في هذه الأيام الأربعة من مال في مقابل اسوداد دمي وقلة لحمي وانطفاء ملامحي في أحضان تلك الأوراق الشهوانية إلى حد نفادي..

وبعد.. تعال هنا.. أين الرحمة يا رجل!؟.. لقد أيقظ الرجلين صوت إرادَتك كأنها عقوبتي الأبدية، وأنت تحشو سجائرك بأعصابي التي صبغها دمي المسود..!؟ آه.. كان تفتيتكها وحشياً ثم أنتذ يمتعك أن تحرقها في سجائرك وأنت تقرأ الحوار..!

- (تصفيقة تقدير وإعجاب)....

هل تعتقد أن دور الضحية يناسبك دائماً؟!

- ولست أعتقد أن للإقطاعية مكانها القديم، أم تحسبك أبي ومن قلة الأدب أن أناقشك..؟

- كنت لطيفاً معي..!

- إذن يمكنني بعد قولك أن أعلن للناس قاعدتي العلمية الجديدة: أيها الناس، إن دور الضحية مرض معدٍ، والبرهان أن صاحبنا صار هو الآخر يلعبه بنفس مهارتي.... !! آه.. أي مظلوم أنت يا عزيزي

- تعجبني وقاحتك؛ فأنت تصير وقتها كامرأة يزيدها الفرن حمرة مغناطيسية.

- حقاً؟!.... وتقزّزني عشوائيّة أرانبك السوداء!

- وكيف إذا زرتني يوماً فاستغاثت بك أوراقك تحت تل من الزبالة المقرفة.؟؟!

- عندك حق.. إنه موقف صعب.. آه... صعب جداً.. وقتها.. وقتها سأستغرب و... أقسم نظراتي بينك وبينها قسمة العدل، وسوف تعترف لي بأنني ممثل عبقري إذ أرتمي على الكرسي وألقف جبهتي بيدي اليسرى، واليمنى وراء مسند السرير الذي ينتهي تحت إبطي، وأبلل جفني بريقي قبل أن يجف من حر الحسرة، وأصيح في بكاء مر:

"آه+ آه.... آاه + ه + ه، إنني مدين لك يا سيدي الكريم.. وهل من رد يتحمّل ثقلَهُ فردٌ مثلي وهو يسير في حدائق كرمك غلباً، لا يمكنه وقتها يا سيدي إلا أن يغور في أغوار أرضك كبذرة تتغذى من جمائلك حتى تطلع شجرة ليست غير كرمك بعينه."

سوف أرتمي قرب قدميك أو فلنجعلها فوق قدميك وأبكي قائلاً: "لقد توقعت أن تحرقها يا سيدي، ولكنك اكتفيت بعقاب بسيط.. فشكراً" ثم يغمى عليّ.

- كيف تجرؤ وأنا قاضيك؟!

- أنت غلطان يا رئيس؛ ليس لعقوبتي قاضٍ، وأنت معي الآن بإذني، وبإذني أبعدك لا يهمني أن تقتنع أو تستمتع؛ فهناك آخرون يقدرون متاعبي، وإحساسي بهم واحتياجي لهم.

- تبنتي [illegible] //

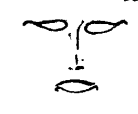
- / لا لن أسمح لك بالتحدث معي ثانية إلا كصديق وإن كان قساً، ومشكلاتي سأحلها مع غيرك.. خذ.)

....

لكن الشيخ أربك الموقف إذ لم يستغرب. ولما طال انتظار الدكتور قعد فلما استغرب الشيخ نهض الدكتور شارحاً، قاطعه ابن سيرين. ولم يكن في الحسبان أنه قرأ معي دراسات عن تغير مدلولات الكلمة بتغير الوقت والمكان وأن لكل عصر ابتكاراته، وبصراحة لم أبذل مجهوداً كمبدع متشرد حقيقي. جعلت لهما حرية الحديث بلا حدود *(وفي ذلك تبرير)* تركتهما على المسرح، وجلست بينكم. حقاً لم تنقطع صلتي بهم كاملة لأسباب.

صار وجه الدكتور: .

ولم يكن الاستفهام إناء عادياً صبَّ فيه الدكتور تعجبه.. لا، كان استفهاماً من معدن الغيظ المصهور بيديْ إهانة ما، وكان فائر الحرارة فلم تقدر العين المفتوحة أن تتحمل وحدها فانسحب مجبراً الجفن الآخر إلى وراء ليندفق مكنون، والشيخ غارق في إجابته. وأحسبه كصبي يؤنبه أبوه. صار الدكتور:



[علامة ترقيم إن صادفتها في موقع
فلا تتعامل معها إلا بأحد مبدأين..
فإما أقواسي أو سياقي. وإلا فاسترح
من عنائي، واستفد بساعة نوم..]

بالتدفق عبر العين الأخرى اهتزت أبنية الصمت التي هرب الشيخ بين جدرانها، ولم تمر دقائق أو مرت جارفة إلا وتتنازع وجه الشيخ عشرات الحركات القصيرة، كأنما تقطّعُها نظرات الدكتور السيالة. تقاطع الحركات يشبه تماماً حركة تشقق السدود قبل انهيارها....

....

- حسبك يا رجل. أو تقرأني عيناك أم تقشران وجهي؟ كدت أنزف يا هذا.. هل تعتقد أني قللت من شأنك؟ هلم.. هلم لإعادة ذلك الأثاث.... يا ابني ماذا تتوقع من رجل في سني وكاهلي لم يعد يقتنع بتفاسيري التي تزن أزمنة من الأشياء التي لا علاقة للنابغة بها، ها... أو لن نعيد الأثاث وتنزع تانكما السكينتين المزروعتين في وجهي....

....

.. ..

آه لابد أن أحداً منكم لم يلمحني جالساً على كرسي أمامه ولا وراءه، وتتعجبون لسهولة اعترافي بالكذب عليكم. لكن أبعاد الموقف تشعبت في رأسي حتى حد التوقف، ويد الفنجال الأخير تكاد تمحي بصماتها من دمي.. فاسمحوا لي أن أفارقكم قليلاً فلقد بدأت أفقد سلطتي عليهما بالفعل.

....

(.........................

• الحمد لله. كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً في الشهر السابع ميلادياً وقت احتدم العراك وأنا بينهما كالساقط في بئر لن يسمع قرارها رام.

حقّ هروبي من المواجهة، فأغلقت الكراسة. تحركت بعدها كبليد قديم، لكن هي أقل من دقائق واضطربت خطواتي في البيت. سألتني أمي عن شيء ما فأجبتها بجفاء: واهاً. كيف تحدّثني والرجلان يربو زعيقهما كقنبلة مزمنة. هلا صمتت فأدرس مدى خسائري التي كانت وكم جدار انهدّ... ...... ندمت لجفائي سالفاً، ولكني لم أزل مضطرباً. ولجت الحجرة كحركة متقطّعة يزيدها الزعيق ارتعاشاً متشائماً.. أمْسَكْتُ الكرّاسة.. عصبيّتي بغير قرار، ولا إرادتي خطوة هنا. . . . ثم هنا خطوة، والكراسة كبطة فَرَكَتْهَا سيارتا ذراعي فزادني تكسُّرُها تَكَسُّراً وعصبيّةً اتخَذَتْ قراراً عصبياً بأن تَخْنُقَ تلك البطّةَ الصَّيّاحة بين كتب الخزانة، واعتقدت أن الحَلّ ضحك لي، ولكن بدا أن حَرّ الخزانة كان أدْعَى إزهاق النفوس فاحتدمتْ المعركة زيادة الحَرّ.

ولم أنتظر أن أسمع خبرهما، فشققت طريقي من باب الحجرة، وعامَلَتْنِي صفْرَتُهُ بإزعاج. عانقتني البوابة الحمراء كمطارَدة بوليسيّة، لكنني انفلت. كانت الساعة الثانية عشرة والربع، والظهيرة امرأة عانس أُمِّرَتْ: تفتقت عن حقد جهنمي ومكبوتات صفراء، لم يكن يشبع شهوتها أن تتزوج ألف بشري في وقت واحد، وقد تؤدي ساديتها الجنسية إلى موت مضاجعها، فيا للقرف منها: تغري بصفرة وسخونة، وتلتذ بأزواجها على أسرَّة العَرَقِ مُلَطَّخَةً بتراب السيارات والسيارة. واندهشت لأنها لم تُغْرِني، أو هي أَغْرَتْنِي ولم يستجب لها جسمي حتى ولو بخيط يتيم من سرير العرق، ولا قرب التراب من رغبتي الغائبة عن الوعي.

يا إلهي..! الوقت الفرد في حياتي الذي احتجت فيه إلى شكّات كلايها الضوئيّة..!... وي! إنها المرأة تَقَلُّبٌ جَبْرِيٌّ لا يحدُّه حتّى هي.

سرت طريقاً زراعياً طويلاً تلاحقني فيه أعين أعرفها.. هربت مني جدليّاتُ سُقْرَاطَ، أو اكتشفت -لأول مرة- أن أفلاطون كان حكّاء فاشلاً لم يذكر أية "معروفة" عن حركات عَيْنَيْ سقراط وهو يقنع -في الغالب- بلا شيء، أما أنا فكان عندي أشياء، ولكن يخرب بيتك أيها الأفلاطون الشّاذّ. وأنا سائر حاولت أن أشغل نفسي بأي حديث بعيد.. حتى لقد شتمت تلك المرأة المفاجئة البرود معي و...... و..... عزيت بصوت أظُنُّهُ لم يكن واضحاً أو فليكن؛ ليس من فارق مهماً؛ فقد صرت بعيداً عن العمران ولا أحد، فعزيت تلك الفتاة التي سأتزوجها ذات يوم فهي لن تصبر مطلقاً.. وكيف؟! هل تُكْرِمُ ضيوفِي وتُغَذِّي حَيَوَانَاتِي وتزرع غاباتي؟ وهل يجب عليّ أن تفعل ذلك معي؟ آه.. يضجرني أن تعتقد فِيَّ ذلك التعاون المرهق ولو شهراً. ولكن، يبعد جداً أن تتحمل فتاة –"حامل" تحت بَشْرَتِهَا بحضارة واحد وعشرين قرناً- قسطاً من عناءاتي ؟ وما يجبرها؟! أنا متأكد من أنها لن تتحمّلَ، ولأني أحترم النساء فلن ألومها أبداً.. بالله لن ألومها أبداً إذا أرادت الانفصال...... . . . .

نعم، لقد شغلني ذلك الحديث طويلاً؛ فقد أحسَسْتُ أن من واجبي أن أعزِّيَ تلك الفتاة بإخلاص، وألا أجرح مشاعرها ونحن ننفصل: لقد ساعدتها في إعداد حقائبها، وكان في جيْبِي –وقتها- أسطوانة مسجل عليها وداعٌ رفيقٌ بصوتي (وهذه هي أهم سماتي: الرفق) استعداداً لموقف مثل هذا.

كان الموقف جد حرج، لكن بدا لي أنها اقتنعت بمنطقي السقراطِيِّ؛ وبرهاني أنها لم تراجعْني في كلمة قلتُها. وقبل أن أنهي الحديث أهديتها الأسطوانة بصنعة لطافة، وقد أدهشني أنها همَّتْ بأن تحمِلَ الحقائب.. حقيقة هي اعتادت ذلك، لكن الموقف مختلف، ولابد أن أساعدها في وقت فجيعتها؛ ولذا حلفت لها بالطلاق من أية امرأة قد تدخل حياتي ثانية بأني الذي سيحمل الحقائب.. وكلها، وأقنعتها بمنطق سهل. ونزلنا.. هي أمامي. كانت الحقائب كثيرة وثقيلة لدرجة أنني فكرت أن أسألها المساعدة، ولكني هبْت أن تظنَّنِي قليل الذوق، فتحاملت على نفسي.. أحكمت ربط الحقائب فوق التاكسي.. ركبت هي، ووقَفْتُ أنا أُفَكِّرُ: هل من الواجب عليّ اجتماعياً أن أرافقها إلى بيت أبيها. وبعد مناقشة ساخنة بيني وبيني أقنعتُني بمرافقتها. وأنا أقفل

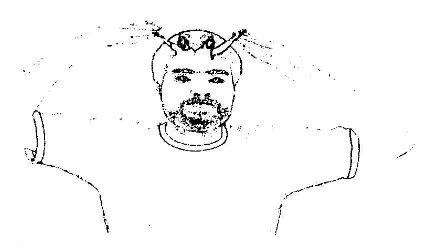
باب السيارة كان إحساسي بقربـ(ـهما) يزداد فزعقت في قفا السائق أن بأقصى سرعة، وليس أزيد من وقت قصير جداً جداً وكانا يتغلغلان في عيني وأربعة عيونهما كنكات قهوة تفور، وليست تنطفئ نار المشاعل. أجبراني أن آمر السائق بالوقوف.. ونزلت من إلى جانبها معقود اللسان. قالت هي للسائق: تابع يا "أسطى". حقاً ليست طيبة إلى درجة توقَّعْتُها إذ إنها تركتني وحدي والرجلين بعيدين عن العمران ولا أحد. حاججتهما بأن حلولي ضعيفة، وأني لن أجبرهما على البقاء، وسوف أغلق هذا النص إلى الأبد فحدودي كإنسان طبعيّ صارت صعبة الوضوح حتى أني لم أرزق بقطرة عرق واحدة، ولا تَفَاعُلَ للشمس معي، والأراضي من حولي مشفرة.. نبهتني رطوبة خضرتها لحظة.. ثم لا أثر لها. أخْبِرَانِي كَمْ قطعتما لتلحقا بي أيُّها الأبوان الساخطان؟.. سبعة كيلو مترات؟.. ثمانية؟.. تسعة. كيف وجدتماني إذن؟.. منتحراً؟.. لم الصمت؟ هل انتحرت إذن؟ اقرصاني لعلي أسترجع حضوري أتعتقدان أني سأكون بخير... ... .. . آه أول مرة أُتْعِبُ فيها المَشْيَ فَيَيْأس من إتعابي، أم إن ذلك يؤكد حادثة انتحاري ؟! أجيباني. أنتما جعلتماني أعامل زوجتي بمنتهى الجفاء، كانت ستعاتبني في منتصف الطريق فأعترف لها باحتياجي إليها، ونقضي سهرة الخميس معاً كأي زوجين. ولكنكما أنزلتماني فقضى آخر أمل لي في أن أعيش كإنسان من لحمٍ وَدَمٍ!

آه يا ربي هل أكمل حياتي منذ الآن كحلم مشلول..!

- .. رويدك يا صاحب العقوبة المتشرد؛ فقد حللنا الموقف.

- ماذا..!

-



-

- وبعدُ فلنرجع إلى البيت، ولتنزع نعليك حتى تتأكد من أنك لم تنتحر حتى الآن. <<تذكر جيداً ذلك الحل.>>

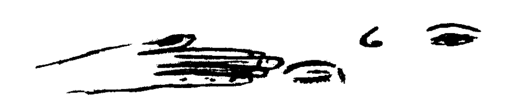
يا للتفاعل.. أمْلَيَانِي شعوراً بإغراءات المرأة العانس حتى لتوقعت ضربة شمس لا مَفَرّ، وعلى سرير من العرق المتدفق منّي كنشوة انعتاق انتظرَتني : أعدت عجينة التراب ولكن تدفقاً من فيض تصوراتي كأنما حملني إلى البيت في غفوة منها. في البيت أحضرت الكراسة من الخزانة وبدأتُ النَفْخَ:

....

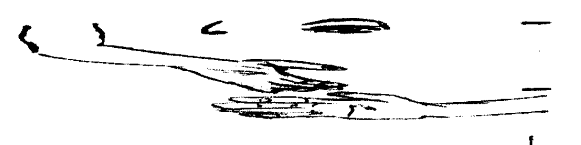
. . ...

قفز الشيخ في بحر طويل حتى يكشف ألحفة الموج عن طاقم السفينة التي لم تتبين لها اتجاهاً حتى الآن، وكان الدكتور يسبح في اندماج المتعة. وإذ زعق في وجهه الشيخ زعيق الضوء في عيني مسافر كاد يضل الطريق تحت دفقات ظلام يمتد. ولما فوجئ الدكتور بتذكيره أنه أحد أفراد الطاقم وليلاهما واحدة صار:

-



- لا يا ابني.. كتبي لا.. إنها عقوبتي؛ فلأحملها وحدي، والله المعين.. ولا تثريب.



- أ ب ت ..
- ث ج ح خ
-



-



المنضدة تتوسط السجادة المنبسطة بلا إزعاج راءٍ، ومفرشها نظيف مكوي، وإذ يثبتها فوق المنضدة أبو حامد من جانب والشيخ من جانب استعان الدكتور بالمحلل s.f حتى يحملا إحدى الكنبات إلى الحجرة. تدفقت في ذهن الدكتور أفكار لبعضها وجه ذكرى:

﴿آه أيها الجسد لم أعتقد في احتياجي إليك بعد افتراق﴾

اندمجت الكنبة مع الجدار في عناق كأنه ميثاق قديم بينهما، وكادت علاقتي بهما توثق فأتبيّنَ لغةً يتحدّثانِ بها، لكنما طال أول اللقاء كأقوى فكرة تصعب صياغتها في كلمات، وإن كانت تذكرني رائحتها بصداقتي أنا والنخلة التي أمام شباكي، ولا لغة يفهمها كلانا. عاملتها بعيني ويدي ولساني، فانزعجت وأقنعَتْني أن لأمتها حياتها الخاصة، وأن صداقتها لن تجبرها على التعامل كآدمية.

ويطول أول اللقاء، ولا نمارس إلا أوله كفكرة منتظَرة، غير أنني أودّعُها وبيْنَنَا ميثاق رجائي في أن أصير شاعراً حقيقياً بها، ونقضي شيئاً مما بعد أول اللقاء فيما بعد.

بغير سابق إنذار قطع الدكتور العناق أثناء محاولة الصياغة، إذ سار إلى حيث كنبة أخرى، كأنما نَبّهَهُ زعيق الضوء فجأة، رمى يده إلى المحلل بِنِيّةِ صنّارةٍ، ويبدو أن المحلل لم يجد فيها طعماً مغرياً، فاستمر واقفاً مكانه! ويكأنه يعتقد أنه لا زال نمساوياً غريباً عن صافور، ولكن/..

- ../من منا كان يعرف صافور (تكلم الدكتور) فتّشْ في كُتُبي، في ملابس النابغة أو في رحل ناقته؟ وهل سلف للشيخ أن فسّر حلماً لرجل صافوريّ؟! [يسحب الدكتور صنارته على رجاء الغنْم في مرّة قادمة، ويستمر] كلُّنا -أيها المحلل- هنا امتدادا لألبير الغريب [.... . . .(كان قد تحرّك حركة، لكنني لم أعد أتذكرها. حقاً أنا آسف)] لا تفغر فاك أيها الرجل وكأنّ عينيك بحران نزل فيهما حاجباك ليصطادا تحليلاً سميناً أو... جنسياً لقولي [على مقربة من المحلل وبعد تحديد موقعِهِ بدقّة استدار إليه الدكتور بحركة هي بين صيّادٍ بشَبَكَةٍ أو بصنّارتين، يقبض على كتفيْ المحلّل..] حسناً (يا سيّد التّحليل) إنني لا أذكر أن ذكري انتفخت أوردته إلا في حجرة نومي،

بالرغم من أن أوردتي جدرانها من حنين إسلامي عربي.. وحتى الآن وقد فارقت جسدي باعتبار المزج بين ما كان وما سيكون، فأنا إرهابيٌّ الحنين [..... بعد أن أقفلت يدا الدكتور فم المحلل برفق، وكأن الدكتور قد عمل مدرّساً في إحدى المدارس الخاصّة من قبل، لم يفرجْ المحلل بين شفتيه، ويبدو أنه حاول فلم يفلح فاكتفى بحركات شفوية فوق أسفل ويمين شمال..] لعله/.. ﴿تابع ابن سيرين﴾/ غاضب. صدق: كلُّنا غرباء [وخلال

حركة -كحكيم يستدرك في حديثه مندمجاً في خطبة رائعة- لك أن تتصورها كيف تشاء: رفْعُ حاجب فنزول طرف منه، مَدّ عُنُقٍ أو هَزُّ رأسٍ. أحضر مرآة كبيرة وعِشْ الحالة أمامها تسعفْك حركة خاصة بك، وقد تختلف عن الحركات التي أسْعَفَتْنِي في مرايا بيتي] وفي نفس الوقت أصحاب بيت..

- نعم ﴿صدق أبو حامد على رأي الشيخ، وتابع الشيخ﴾ أجبني أنت يا سيد s.f كيف ترى يدي إذا كانت ثقتك فيّ إلى غير حدٌّ..؟

- يزينها خاتم جديد ﴿وتابع الشيخ﴾ وشقَّتُك وقتها تسكن تحت أضراسي. وقد سمعت عن عمدة ريفي كان يموت في الخواتم من كل معدن، استعان بخبراء من القرى المجاورة.. صاغوا له معادن القرية إلا قلة لم تغيّر نار الأفران من صفاتهم صفة، فأمر العمدة بدفنها كنفايات ضارّة، وصار في القرية طقسٌ غريبٌ: يقيمون صواناً كبيراً في إحدى العزب أو المنشيات، ويختار العمدة لنفسه اسماً مقدساً يذاع في ميكروفون البلدة قبل إقامة الصوان، يقف العمدة على المنصة يلقي خطاباته وكان معروفاً بجودة سبكها، ووراءه تجار القرية وغيرها.. يتتابع قرابة اثنين وخمسين شخصاً من أهالي القرية أمام المنصة في دائرة واسعة، مركز الدائرة حفرة تستشيط ناراً جائعة، ثم يتتابع الصاغة في يدِ كلٍّ قضيب ذهبي.. يشيرون بالقضيب إلى عدد من الدائرة ليلتفُّوا قرب النقرة الصارخة كالخاتم الذي يصهر، وهكذا إلى ألا يبقى منهم أحد. وفي أحد الأعوام المتأخرة من عمر العمدة وقد انتفخ صدره استمتاعاً بالأمر زاد العدد إلى سبعة وستين.. وراح أفراد الدائرة ينقصون وينقصون إلى أن بقي أربعة عشر رجلاً وامرأة.. أو زادوا ستة.. لا أذكر بالتحديد، لكن كانت هذه المرأة تذكرني بشجرة طيبة الثمار ورائحتها جميلة، وكم تذكرني دوماً بصوفيّنا المحبوب!

المهم لم يتحركوا رهن إشارة الصاغة، فارتجّت أنفاس العمدة وكاد أن يقع من فوق المنصة فزعاً، حتى أشار عليه الملأ أن يصرخ من مغصٍ شديد بصوْتٍ صبور: -- "آه بطني..

لابد أن هذه المعادن نفايات سامة.. أعدموهم.. "

ويتدفق خفراء القرية كدبابير العش [هنا يتنحنح الصوفي، ثم هو كأنما يزنق بين شفتيه دهشة طوفانيتها أجبرت القوتين الضاغتين على الانسحاب قليلاً، واتسع ما بين نقطتي التقائهما الطرفيتين، حال هو مشدود أصابع اليد اليمنى تتحرك في اتجاه صدره، ثم تستغرق في هرشة بالفود اليمين أو فركة. ومصوتاً بتقطع خفيف كأنه يحاول صياغة علاقة الكنبة والجدار في كلمات لم تردم الحفر في الطريق إليها بعد. قال] طقس.. .. .. نكسة ﴿تابع الشيخ﴾ بعدها ينزل العمدة أمام الناس ومربوط بكفيه خيطان طويلان تدخل فيهما خواتم المنصهرين، وفي مرة أفلت جماعة الرافضين من الخفراء الذين راحوا يرمون النار على الهاربين فاحترقت الدور، واشتعلت المحاصيل، وأقامت النار تأكل في القرية ستة سنوات عجافاً.. وتشرد من تشرد، وقتل من قتل، و، و... وفي سهرة أسرية متحسرة كمئات غيرها آنئذ أصابتني سكتة قريبة من سكتة ﴿إكرامي﴾ العربية؛ فقد قال أحد الأبناء الكبار: الحمد لله.. يكفي أن العمدة ناصر القرية بخير [وهنا كادت حركة أن تستمر فتابع] قدك يا صوفينا القريب، لا تزنق دهشتك، وتتعب يدك؛ فالمسألة أنهم سلموه مفتاح الشقة، وكتبوا عقود وجودهم باسمه: جعلوه ناصراً، وقد سماه أبوه عبد الناصر.

وأنت أيها الغريب المتعـ[-/...

- ../ لا]، المتعجـ[- دعني أصف حركة تعجبه؟

- قلت: لا] المتعـ[- لكن لماذا؟!

- لا تقاطعني

وقت انفعالي يا ولد] المتعجب.. عذراً لإطالتي، رغبتان شعبيتان من قديـــــــــــم، وإن كنت لم أنح الموضوع الأصلي. إنك الآن صاحب بيت، ومعك مفتاح الشقة! [- هل يمكنني؟

- لا بأس الآن يا بني..

- نزل الشيخ عن المنضدة، فانشد المفرش في إثره، تأتأ بإصبعيه ملوحاً بيده لأبي حامد حتى انتبه للإشارة. أعادا المفرش كما كان. بعدها استدار الشيخ إلى المحلل و-(ما أشد قربك من قلبي يا شيخ وألذ نداءك)- وتابع] تذكر أن إيجار الشقة هنا –وقد لا تسدده تاماً- النسيان.

- ماذا؟

- ...، نعم ..... النسيان نسيان ملامحك التي يعرفك بها أصدقاؤك، ولا تتعمّدْ الحركة بمقاييسك الأولى؛ فغالباً لن يتحمّلَ جهازُك العصبيّ مخزونات فشلك الحركيّ وقتئذ، ولعله يتصفّح كتاباتك في وقت قريب فيمنحك فرصة التذكّر الكامل حتى حين..

ولا أعدك بذلك؛ فالولد عشري جداً إلى درجة الشفقة حتى أنك قد تقتنع بوجودك كائناً مختلفاً عنك في كتاباتك إذ يعود إليها... [عفواً.. كان في نيّتي أن احكي حركة الشيخ أثناء حديثه السالف، لكني خفت أن أجده مندمجاً لدرجة انزعاجه لو قاطعته. لكن ملحوقة يا سادة: فهو -بعد أن استدار، وتابع إلى "النسيان" الأول- سار من نقطة الاستدارة كبداية خط جديد ها! خط جديد يرسمه الشيخ بحذر ينبئ عنه بطء قدمي الشيخ كقلمي حبر سرّيّ. الخط له وجه يحدّق في الكنبة كمسمار سوف..........، كانت النقط السالفة زمان النقط التي قبل "نعم". واحذف كلمة "سوف"؛ فقد كانت تعبر عن وقت حركة القدمين قبل النقط، أما وقت النقط فكان الشيخ قد قطع حركته ثم قال: "نعم"، وقضى وقت فراغ بعدها. بعد الفراغ يمكنك أن تنفي "سوف" فتجعلها "لن" يندق المسمار؛ فقد عاصر تشديد نون "النسيان" الثاني نية مُنْحَنَى "سوف" -إذا سار الشيخ في اتجاه جديد- ولن إذا رجع لقديمه. واعذروني إذا لم أنتبه بعدُ إلى حركة قدميه برغم شعوري بمحبة مفاجئة ناحيته، لكن شغلتني صياغة الفكرة بالكلمات.

وإذ كنت أكتب جملة "إذ يعود..." صلصل جرس.. درست علاقتي به في وجوه ضيوفي، فلسع ملامحي اشمئزازٌ واضح.. رجعت أتفحص سطوري السالفة بعدسة والدي المكبرة؛ فقد أكون كسرت مقدّساً دينيّاً حتّى أني تخيلت نفسي نبياً يوحى إليه! ويحي أأكون قد فعلت حقاً؟! ويحي.. .. ... ولكن لا شظايا، غير أن اشمئزازي يزيد بلا سدود ويزيد، والوجوه تتّهمني بخيانة بَشِعَةٍ يؤكدها دوام صلصلة الجرس. أنا متأكد من كذب نبوّتي! ولن ينزل ملك الوحي عليّ! آه، لكن الاتهام ، فوّر نبضي؛ فقلبي رهبة أخروية، ثم هو صرخة من أزمنة جهنم أجبرتني، فلم أملك إلا أن أستيقظ فزعاً.

(يا للعذاب المنفعل).. بنظرات طائرة بين أركان الحجرة حولي (:الحمد لله.. إنه جرس الهاتف.. نعم الهاتف. أيتها الحشرة الإلكترونية لقد

أرهقتني يا كئيب) وتستأذن برودة ما في لحم الورقة أن تسري. ولعلي إذ أرى الحجرة بعيني العاديّتيْن كفيل بأن يعيد أثاثها إلى عشوائيته التي لا تفارقني في مكان: الكتب بإزعاج، والمفرش على الأرض واللمبة والسجادة –وي أيتها الإرث العبقري، منذ ورثتك أمي عن أمها الثرية وأنت تتعاملين معي كامرأة جميلة أفقدتها تلك البقعة المحروقة غناها، وأحوجها الزمان إلى شبابها، وليس من ردٍّ عندي إلا "سبحان الله، من حال إلى حال.. عينان لا تكونان إلا في وجه ساحر. رحم الله شبابك أيتها السجادة العجوز."

أه، رويدك يا ذلك الصوت المتلهف كسكين معدٍّ، لم يقع عجل ولا حتى دجاجة هزيلة، ليس خروجي إليك بسهل إطلاقاً. .. .. . تباً أيتها التيّارات الضوئيّة الساخنة التي تعتصر مخّي، وكأنني سأعاني ألم ولادتي من جديد. فلتهدئي حتى أنهي المكالمة.

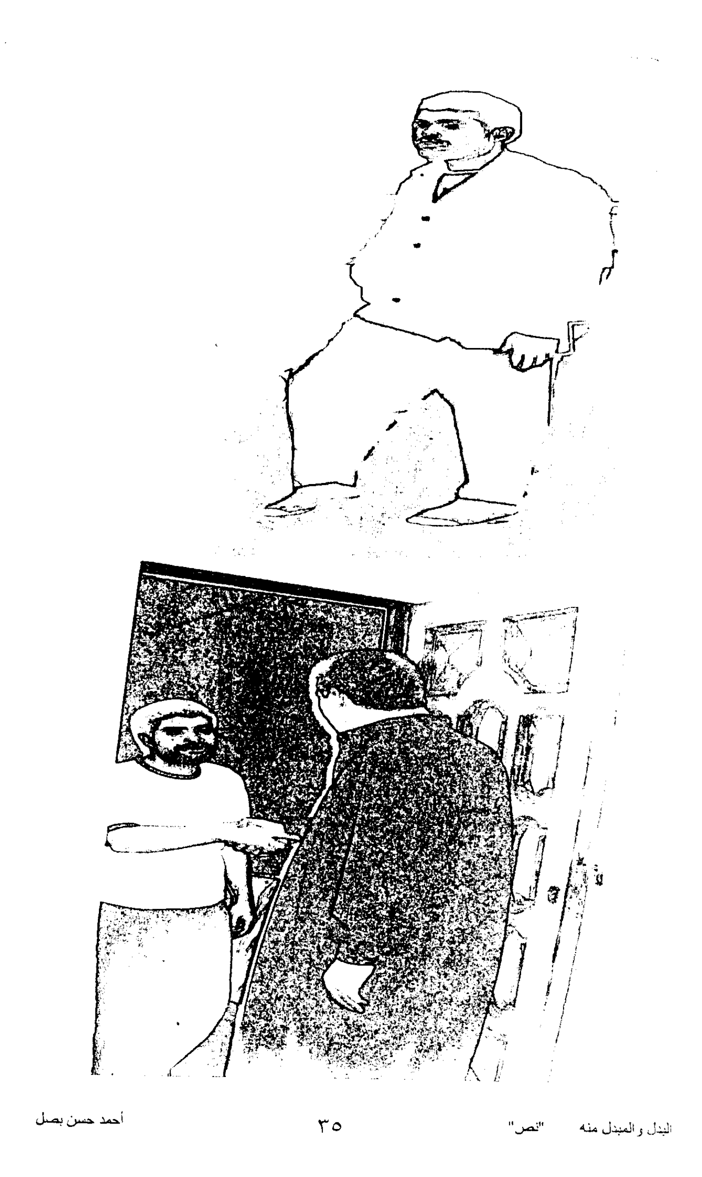
[- ليتني بإرادتي..! لتوقفت. على العموم اضجع قليلاً وتصور معي: أنت الآن تقفز من تلفيف لآخر. هيا تحرك: إنك الآن تخرج بسرعة لا بأس بها/ انتبه؛ كدت تلمس إشارة مشتعلة! شتان ما بين انسداد الجدران الضوئية عليك وبينك الآن وأنت ترقب مخك من بعيد كأنه فحمة تودّع نارها. ها أنت ترتدي قبعة الحكاية القديمة بعد أن نال القبعة مسحوق العفريت المحترق.. تعدل من وضعها وتختفي تماماً، لن تمنعك عظام الجمجمة ولا جلد رأسك... الآن تخرج إلى ما بعد حدود الجمجمة.

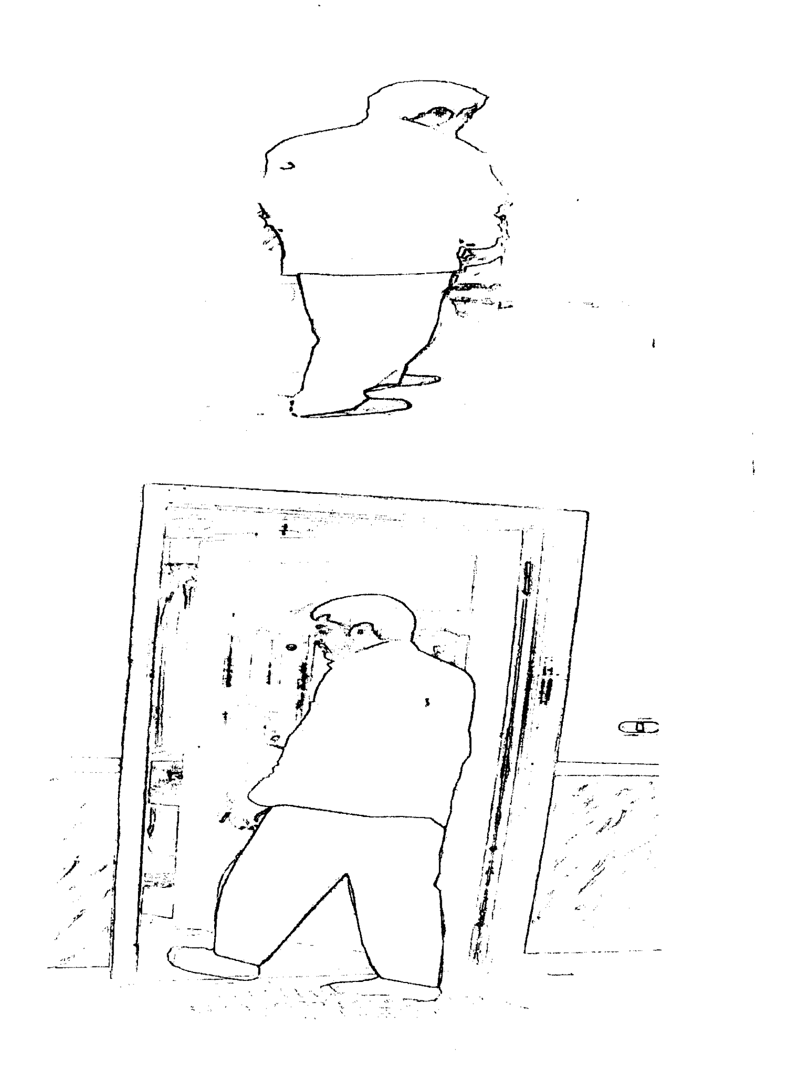
ارفع كتفيك فوق وراء قدام]، أشُدُّ عضلات ذراعي فارداً أصابع اليسرى، ويتحرك القلم في اليمنى في بطء ليسقط، وباليسرى أمسك السماعة ضاغطاً على زر أحمر كي تنطفئ لمبة المكتب، فيرحل الضوء فارشاً بطانية من الهدوء فوق ضلوع الحجرة... وضلوعي.
ها حسناً

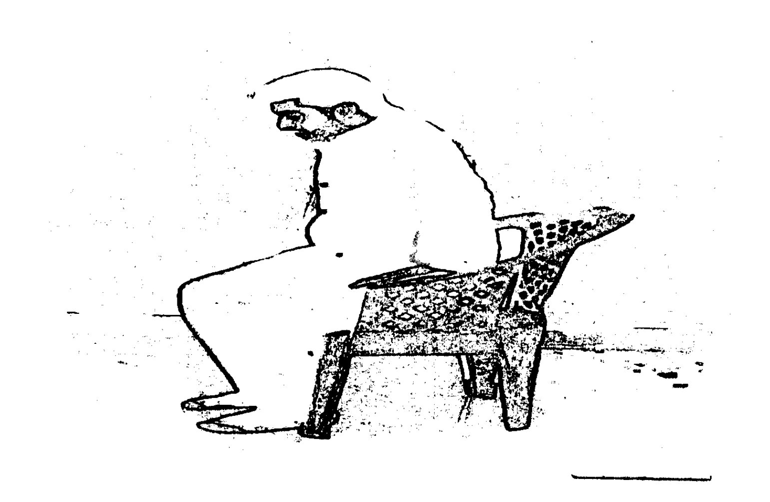
- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أحمد

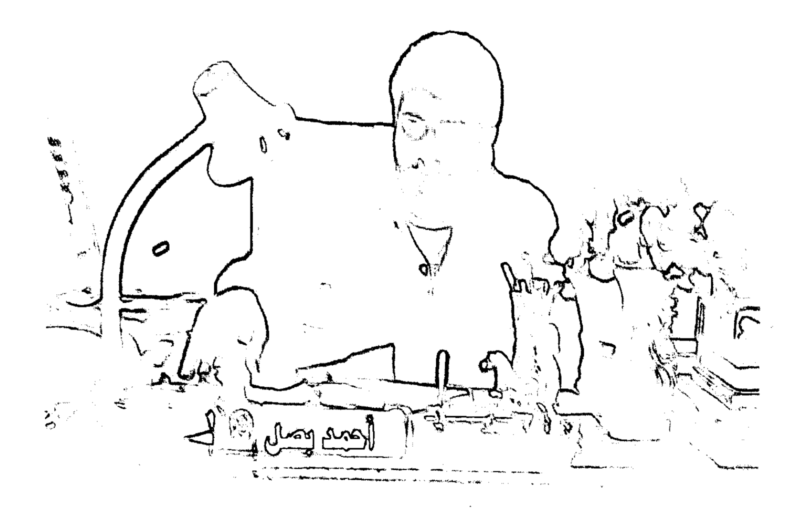


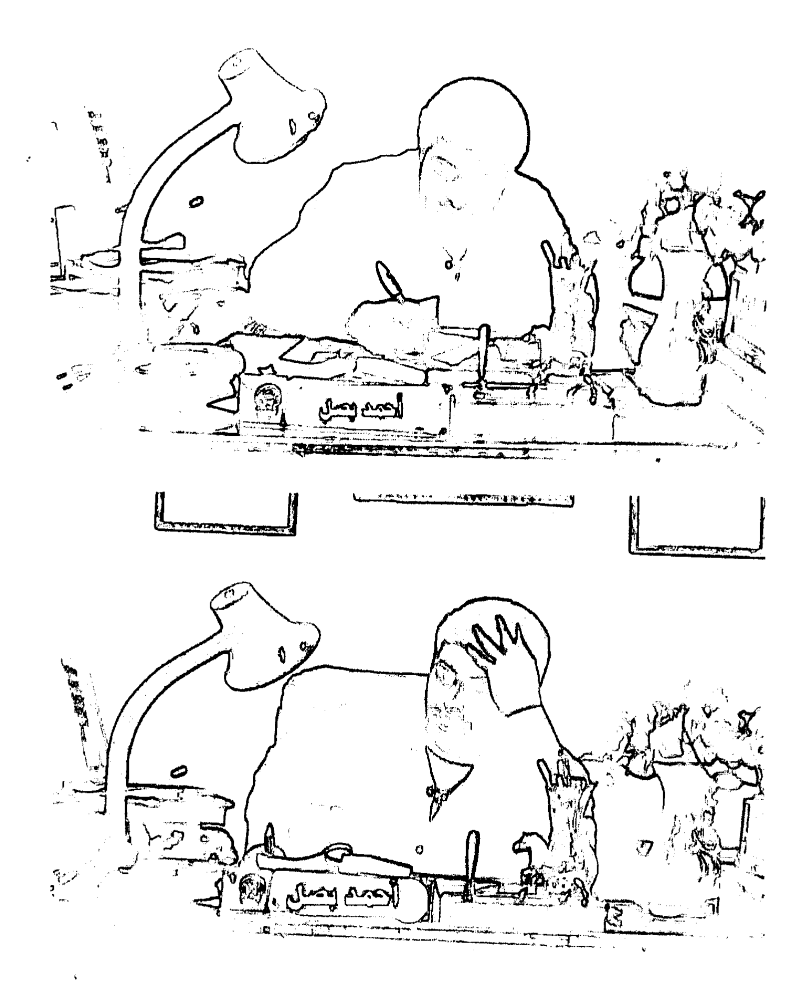









أحمد بصل



يجرب صنارته مرة أخرى: الآن، لو ترغب في حمل كنبة أخرى؟

يحدث نفسه إذ هو في طريقه إلى الدكتور. لا تركيز عندي في وجهه أو عندي، لكنه معجون في مركز مخّي بِحَيْرَةٍ كُبْرى. وقد أصر على صوت ضعيف فلا يتكشف حديثه عن معنى، إلى جانب أنه يتكلم العربيّة متكسّرةً، وحتى أفهمها فعليّ أن أستعين بأصدقائي جميعهم وأهلي وكل معارفي.. ومن ينكر أنني سأضطر لذا!!

كنت في مرة ما أسأل صاحباً لي في "طه حسين" فبادرني بأنه حسبهُ -بحكم تدينه الريفي- أن يسمع عنه من بعيد، وإن حذّرهُ إخوانه من السماع فإنه سيضع أصابعه في أذنيه حتى أسكت، ومن ثَمّ لم يعدْ لي خيارٌ إلا حذف إجابتين من ثلاث!.

أعصابه كأنها تتلمذت في مدرسة بركانية لا وجود لها بعدُ.. ويفتح الباب، وجهه إلى غير الدرجات التي تحبسها البوابة الحمراء بينها وبين وباب الحجرة الأصفر، وقف على أطراف أصابعه فوق نهاية المرحلة الثانية من السلم مستنداً بكفيه على الجدار كأنه يبحث في الشارع عن ضائع. قال الدكتور:

- كلا.. لست بدارٍ ماهيّةَ حياتنا ذات نمارسها الآن. هي خاصة بصاحب البيت، وإنني لأحقّكم بالحيرة؛ فقد تمت تجاربكم في الدنيا، أما أنا فلم يزل لي قدمان تدبّان فوْق الأرض وأنفاسٌ ورزقٌ.

- وهل قتلْتْ حجّتُك حيواناً فرداً من دواعي الارتباك..؟ تتعدى لوحاته الما لا أحْصِي.. تصيّرني كشمس سلّطَتْ بقايا جيوشها الضوئيّةِ عصْراً على بلاد الماء لتجبرَها على دفع الجزية اليومية، وبعد حرب ساعتين اختنق جنود الشمس.. وآخر قواتها الإمدادية تتوه في ملامح المغرب، ويسقط محاربو الشمس ما بين جثث وعبيد! وآه من مزيجي منهما الآن! آه لو يتغلب عليّ صمتي مثلكم..!

- عش قدرك وَاحْسُ نصفه المملوء بتلذّذ. إنه مفيد لصحتك النفسية يا سيادة المحلل.

- أوليس تدفعك حياتاك في وقت واحد أن تفرك جبهتك عن ولو سؤال يا دكتو/

- /اسمح لي يا سيادة السيف المجرد في غير معركة أن أتحدث بما أكونه الآن هنا وليس غيرُ..

- هات.

- ذاكرتي –الوقت- لا تسعفني إلا بالآية الكريمة ".... وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً"، وفي ركن يضجع "دارون" في سعادة يفتح لي كفيه فهما مزروعتان بشكر أخضر، وفي ركن عنوان الفتى..

- شكر أخضر!؟

- نعم أخضر.. يتدفق سروراً لعملٍ أسْدَيْتُهُ إيّاه.

- أنا أستشرحك الشـ/

- /ـكر؟.. في المبدل منه يكفي إحساسك بالكلمة، ولا حيلة لي. تَمّ استدعائي وهي فيّ كنملةٍ لن تسألها عن أمها، ولا عن مسكنها؛ لأنها بلا حنجرة، وأنت الآن في حالك وهي في حالها. واطمئن؛ فهي تعرف الطريق.

- ولكن يمكنك أن تراقبها فتعرف.

- فلماذا تراقبها وأنت لا تكف عن أسئلتها في نفس الوقت.

- أنا؟! ألا تعرفـ/

- هلا عرفت أنت ماذا كان أول ما جئت؟.. بادأني الفتى:

~ أهلاً أيها الرجل الواضح..

~ أهلاً بك يا سيد آ...

~ أحمد.

~ يا سيد أحمد..

~ لماذا يا دكتور؟!

~ لماذا؟! عفواً يا بنيّ.. ماذا تقصد؟

~ ودّعت الصلاة إذ لم تشته نهري اللبن والعسل؟؟!!

حقيقة يا s.f بدوْت وكأن ملابسي تتآكل من فوقي خجلاً وقد بلغت نصفها بالذات عند قوله:

~ إن لم تشته الجنّة، فعلى الأقل اهرب من النار.

وأبرز علبة ثقابه.. أشعل واحداً وحركه أمام عينيّ ثم رماه في وجهي وقال:

~ سوف تعود للصلاة إذن..!؟

- وبم أجبت؟

- في الحقيقة لم أجرؤ، كنت منشغلاً بملابسي.. ماذا لو زاد تآكلها إلى ما فوق...

-





-

- ها.. وماذا كان بعدُ؟

- فقدت علاقتي بالمحيط حتى كان رَمْيُ العودِ، فــ.... فشعرت بلسعة خفيفة.

- عفواً يا دكتور بم؟

- بلسعة.

- خفيفة!

- في الواقع –يا متنبي الأفكار الفاضحة- توقعت أن تكون خفيفة بقدر ما رأيت من أنفاس الولد، ولا أنسى –ما أنا في صحبته- أن غلافيْ كتابي كادا يتحدان لولا حيز جسدي الممتد عبر صفحات الكتاب.

- وبعدُ..

- وهل يدري الميت في تابوته المقفل ما يجري خارجاً؟!

- فأين التابوت وأراك تحدثني الآن؟

- في يوم –وإن كنت لا أعرف أيكون "اليوم" من أوزان الوقت في تاك الحياة الجديدة- فُوجِئْتُ بشيء كالقماش الثقيل نوعاً يضرب به ظهر التابوت وتحته،... أو تعرف؟ لقد غرس فيّ إحساساً بالخروج، ويتحرك

الدم في جلدي حركة تزامن صوت الصدأ إذ يتقافز كبراغيث مفزوعة من على قفل التابوت إذ تقلقل..

- مقرف ذلك التشبيه إلى حدود كبرى.

- ليس كقرفي لو أطيعك في أنني اشتهيت أمي صغيراً.. ثم إن التشبيه صادق!

- ثم؟

- سوف تستغرب.

- آه.. لا. استغراب؟! زيادة على ما عندي؟ منذ أن عتّبْتُ رأسه وأنا لا أعامل إلا أسئلة وكنباً ورأسي الذي يوشك أن ينفجر..

أهْ.. لنتجاوز تالك الترعة وقد انحفرت كفجأة! وي! لماذا تتبعثر أصابع الحيرة في أنحاء المكان كجنود مرتزقة عند سلطان ضعيف ولم يدفع لها أجراً؟!

يشدّ الدكتورَ من يده حتى يسيرا فوق جسر انْبَنَتْ أوّلُ مسافةٍ فيه بحجم أول خطوة من قدمي سيجموند، لكن الدكتور سحب نفسه متبرماً إلى وراء كأي ولد صغير يجبره أبوه أن يقطع لَعِبَهُ كي يسلّم على الضيوف. قال:

- لا إنها اللحظة التي راودتني فيها رغبة الصراخ الأول!

وتسقط الخطوة من الجسر كثؤلول في جسم الترعة إلا أنها تُحدِث صوتاً. وسقوطها بتراجع الخطوة من سيجموند مستغرباً:

- الصراخ الأول؟!

- نعم تاك اللذة تقرص قلبك في نجاحاتك.. ألم تنفعل بها في مواسم الحصاد المدرسي؟!

- يا لها من أيام لذيذة!

- هو تاك.

- وهل صرخت؟

- في الحقيقة لم يكن بالضبط؛ فقارئ منقوشات التابوت هو من صرخ.. .. .. فجأني وهو يبتسم كابن بار يقرأ عليّ أرقامه العالية في امتحانات المدرسة.

- لعله أحس بتوبتك.

- لا، بالتأكيد كان يعرف من قبل فهو قارئ توابيت عتيق، وقد حبسني من ضيقه بفكرتي التي قرأها سلفاً. إنه يحبني.. أنا متأكد.

- ولم كان عودته إذن –يا دكتور- صارخاً؟

- سألتني نفس السؤال. ولسوف أريك لوحاته التي أودعها السر في ذلك.

- أين؟

- تحت. احمل معي الكنبة فأحضرها لك تحلّلها كما شئت.

- وما فيها؟

- بالتحديد لا أدري. هي أشبه بكتب التاريخ التي تشمّ في جنباتها روح شخص بالذات.. تتوهج كجبل ثم هي قد تنطفئ كنملة سوداء في ليل أسود فوق صفاة سوداء.

- ما دام الحديث في السواد والأرواح فالحكاية فيها موت!

- كلا، لكنها كانت قريبة من الموت.

- مكبوت ينكره الصديق..

- ويكفي أن تحس بقرب الموت حتى تحلف أن في القعدة ميتاً.

- نعم.. وخاصة....... [يسير فرويد بضع خطوات تجاه يمينه حيث يصير إلى جدار جانبي، يرتكن عليه بيده اليمنى واقفاً على القدم اليسرى محدثاً شكلاً من التقاطع بين ساقها والساق اليمنى بانحناء في اتجاه الأسفل إلى أن تقف بأطرافها على الأرض في الجهة اليسرى من القدم اليسرى.

تنشد شفته اليسرى بين أصبعيه السبابة وإبهام اليسرى، يفرك شفتيه بخفة، ثم هاجماً في نبرة من أمسك اتهاماً خطيراً على صاحبه]:- وأرجو أن تجيبني الآن!

- واهاً

يبدو أن لساني أفلت بمكبوت سيئ عندي [وهب صاعداً إلى الدكتور، اصطاد كتفيه بيدين جائعتين، أرجعه خطوات حيث الكنبة قائلاً]

- احتفظ بهدوء قدر ما يمكنك [أقعده على الكنبة وقال] اضطجعْ الآن. ها.. أصغ لي............ هل أنت مستريح؟

- إلى حد لم يقلقني بدرجة منفرة.
- .... -/ .... -/ .... -/ .... -/......
- تباً، ألهذا أضجعتني؟! إنني صَدَقْتُ إذ نطقت حرفي اسمك بالعربية

يا سيفُ مجرداً في غير معركة.. لا تغضب؛ فكثيراً قامت معاركك، ولكن كان عليك بدلاً من ذلك الموال الطويل أن تسألني، فتعرف أني هنا من زمن طويل، ومن عاشر القوم يا سـيد...، والآن فإذ أنا وأنت والكنبة فاحمـــل معــــي. لا.. أنـــت مـــن هنــــا، وأنـــا مـــن هناك...هــــــــــــــــــــا
- مّ..... هـْ ثقيلة يا دكتور
- لنحملها وقتاً ونستريح وقتاً؛ فيجب أن نعيد أثاث الحجرة حتى نخرج

المشـهد كـاملاً... أو تعـرف لعـل مـا يشـغل ذهنـي هـو الـدافع لاستخدامي لفظة "كاملاً"!
- وفيم تفكر؟
- لا. سوف أنزل أنا بظهري أولاً حتـى يخـف الحمـل عنـك قـليلاً. أفكر في تيك الروح توّهجتْ كجبلٍ ثم انطفأتْ.
- هل تعني (لو سمحت يا دكتور لنسترحْ ولو ثانيتين.. حسناً) أتعني ما كان في كتاب التاريخ!! إذن فالقصـة كاملـة أحـداثها مـن البـدء للنهايـة نفس ما أفعله في التحليل!
- لا يا رجل.. ترى ماذا تنوي النملة السوداء في الليلة السوداء علـى صفاة سوداء.. لا. ماذا؟ أتود إنهاء الاستراحة؟
- إذا لم ترد أنت إطالتها.
- لا.. كنت أسأل لأجلك وحسب.
- إذن فالقصة فقدَتْ توهّجَها، لكن لم تكن تلك النهاية.
- بالضبط.
- ولكن أية فكرة أيقظت "كاملا" في لسانك؟

- لوحة الغلاف تحمل خطوطُها توهّجاً صار انطفاءً.

- لم أفهم جيداً.

- يا سيد s.f لماذا تصر أن تعامل أشياء الفتى بعقلك؟! ومن دخل بلداً تحدّثَ بلغة أهلها. ويكفي من قصيدة أن تعاملك كمس لذيذ ويمضي. حاول أن تنسى هنا أنك صاحب مدرسة التحليل.

- حقاً.. قد يكون ذلك سبب معاناتي بالكامل: أنني حلّلتُ بأسلوب لا تتحمّله حالات كثيرة.

- الآن يا سيدي... بإمكاني أن أخبرك أنك بدأت تتصرف بما تمليه ظروف الإحساس.. إحساسك!!



- ماذا؟! أهْ هل كنا نحمل الكنبة ونحن واقفان؟!!



- عندك حق..

- ولكن أخبرني هل قرأت كثيراً من أعمالي؟

- ولماذا فجأةً الترعةِ هكذا؟

- التفسير عندنا قاعدة أساسية والعلم بالسبب/

- ـب/ يقلل العجب.

- بالفعل.. علم المريض بحالته وإيضاحها يقوم بنصف الواجب.

- المسألة بسيطة جداً يا رجل.

- وفيم تكمن بساطتها؟

- في أن تكرر جملتك "حقاً قد يكون ذلك سبب معاناتي بالكامل"

- نعم "بالكامل"!

ويشير بيده مقبوضة إلا السبابة إلى ما يوازي فوق الدكتور. وذلك بعد ضربة يد فوق الجبهة.. وقبل أن تنتهي الحركة المعتادة التي تستهلكها مثل تيك الإشارة تعبيراً عن الدهشة اشتعلت صرخة مفاجئة في حنك فرويد كأنما ضُربَ بمدفع، وقتها انطفأت ابتسامة الدكتور وكانت ترحّب

بدهشة فرويد،....، وبلا فارق زمني يُذْكَرُ اشتعلت صرخة مماثلة من حنك الدكتور، لعل فزعه من صرخة فرويد سيَّبَ أعصابه فانفتحت قبضتاه لتقع رجل الكنبة الخشبية الثقيلة على رجله هو الآخر.. تركزت صرخة الأول في إفراز دمعتين جبريتين، ونظر بلا استغراب إلى الدكتور قائلاً:

- إننا نتقارب يا دكتور.......... أحس بهذا!

- ذلك يفسر إلى حد كبير سبب عودته للتابوت كناجح!

- ولكن كلما انقشعت ضبابة أعمتنا غيرها.

- تقصد../

- / الشاعر العربي الذي نزل عن ناقته، وراح يصرخ "افتحوا.. افتحوا"، ويضرب بيديه على البوابة محمرّ الوجه...، تعرف؟ ماذا كنت أفعل إذ ناديْتَني؟

- ماذا؟

- كنت أستغرب؛ حفرت كفّ الشاعر في الباب كفاً متدفقةً من عرقه..

- وكيف ترى القصيدة إذن؟

- مشكلة.. مشكلة تتكاثر ذاتياً ولا ذاتياً؛ فما علاقتي أنا بناقته الحمراء، ولا تفاهم بين وجهينا من بدء.

- يراودك وجهك الأول كجندي انتحاري! إذن أخبرني أنا الآخر: ما علاقتي بالنابغة وناقته أو علاقتي بذلك الرجل الفرعوني ذو يتحرك في صمت تام، لا أعرفه ولا يعرفني، وإن وجدت في عينيه وعداً بلقاء؟

- هل ترتاح لوجهه؟

- إلى حد ما قبل دراسة علاقة كَتِي بعمق.

- ابتسمَ لك؟

- ابتسامة خفيفة كأي ضيفين التقيا عند صديق لكليهما.

- وهل غرضك شريف؟

- غرضي! شريف!؟

- نعم.... ألا يقول شاعركم: "نظرة فابتسامة فموعد فلقاء"

- أيها السيف البارد!... كما أردت يا سوسو بك.

- كما أردت ــ═══ــ يا سيدي. الإحساس هو السيد هنا.. ليس إحساسي أو إحساسك، لكن هو لأنه صاحب الشقة الأول والآخر!

- ماذا تعني يا فرويد؟

- أعني؟! أنا؟ أعني أم يعني حالنا الآن؟ أما أنا فلم يعد أعي أي شيء حتى أعنيه، وأما الحال التي تحتبسنا الآن فإن كنت تحس بمشكلة؛ لأنه لا علاقة بينك وبين النابغة، ولا تجد ناقته مختبئة في أي من شقوق ذاكرتك، ولا حتى المنسي الصامت في أحد جيوب دارون، فذلك ليل لن يلبث ويمر.. أما أنا [وزعقت حمرة، فكأن وجهه هشيم]

- ما الأمر يا رجل؟

- الأمر؟! الأمر أنه كان على ذلك السافل أن يحترمني ولو بقدر ما علّمته من قبل..

- أي سافل؟

- ليس غيره: مضيفنا صاحب الكرم العربيّ..

- إننا نتباعد يا فرويد.

- ليكن.. لو كان التباعد يرجع لي كرامتي فلنتباعد إذن!

- تبدو كأنما جني طائش لسعك؛ فلست أرى من إهانة.

- نعم. دافع عنه دافع؛ فإنك مسلم مثله.

نحو ركن النزول يتوجه الدكتور.. وجهه ضيق.. ضيّق إلى حدّ لم يمكّن عينيه من الرؤية.. حركة قدميه عصبية، كأن لم يكن لها سابق معرفة بالأرض، والأرض من تحتيهما مهندسة بملامح وقت قديم أيام كان لا أسماء للأوقات، ولا حدود للأمكنة. ارتباكٌ قدماه وكأن قراراً يكاد ولا يكاد، وفي النهاية وفي سرعة أيضاً اتخذتا قرار المشي، وكانت فتنو ثانية التطبيق. وعباءة لعل موزة شاخت فيها، أو نزعتها عن بدنها فقفزَتْ في فم ما أو......، لا لقد نزلت في فم. هذاك القرد المتشعلق في أحد الفروع يأكل أخرى ويرمي عباءتها.

انحدار صعب بمجرد انطفاء الفنتو ثانية.. كان انحدار صعب! آه يا دكتور.. كيف أنت الآن ولا أجد منك إلا صوتاً من بعيد يخترق الغابة المحشوّة بالأشجار. يا رب استرها! كأنني من زحلقته! أنا لن أسامح نفسي آه... يا لله منك يا فرويد؛ لماذا مارست عقدتك الأبدية في ذلك

المكان بالذات؟ ألم تكونا في الحجرة منذ قليل؟ ماذا لو كنت انفجرت هناك فأرحْتَني من لهفتي التي لن تغفر شعوري بالذنب!؟ يا رب استرها/ /هل تسمع يا f الـ...، لا داعي للشتائم.. إنه يستغيث يا رجل. لتوصِلَهُ الفروعُ الشَجَرِيَّةِ السّاقطة إلى آخر الغابة بسلام.

[وفرويد ينظر نادى]

- لا...... لا لا [أصرّ فرويد على أنه لم يحدث شيء، وأن الدكتور لما يمارس الفنتو ثانية التي وقعت. وحتى يتأكد فرويد من أني غير احتكاري كما تصوّرَ، فإني أعود إلى ما قبل الفنتو ثانية]

نظر الدكتور إلى ورائه حيث كان فرويد، والدكتور ارتباك قدماه، كأن قراراً يكاد ولا يكاد، وقبل أن تكون النهاية، وفي سرعة قطع فرويد نِصف طول الكنبة بينهما.. وما كادت قدما الدكتور تتخذان قرار الخطو حتى كان فرويد ممسكاً بيديه ركبة الدكتور قائلاً:

- احذر.

كدت تهلك يا دكتور.. ألم تر تلك؟

- أي تلك؟ قشرة موز؟!

- ولكن الفنتو –كما يقال- فينيتو.

- ولكن من رمى تلك القشرة؟

-.... ......

تراجعت عينا فرويد كأنما تفتّشان عن أشياء خلف المقلتين، كبرت حدود قسماته كَكُبّار من لحم ودم ساخن، وأمواج الدم تحتها عاتية. أي عابر من الأفكار والمشاعر يستغيث تحت وجهك الآن يا فرويد!

تها د ى بعيدُ صوتِهِ متردّد التها د ي كصوت يهوديٍّ يتطهّر، فيعترف بأن اليهود الذين ذبحوا قديماً لم يذبحوا، والذين أحرقوا قديماً لم يحرقوا، وأنه آسف.

لم يقصد يا دكتور: رمى القشرة وهو لا يدري كيف كان ذلك، ولم؟ يا لله! لابد أن أدرس الفكرة مرة أخرى فأحدّد أيّ الآبار جافة فلا أنزلها، وأيها معتكر فلا آخذ منها في تشكيل وجه فرويد ضيْفاً عندي، وأيّها يمكنني فيه استخلاص أو فصل أو تركيب....... الخ

آسف يا سيدي الدكتور؛ يبدو أنني الذي لم أقصد، وأستميحك عذراً إن غالبني عجز يأتي.. من تراكيب مائية لم أتمكن من تحسين خصائصها أو تغييرها أو فصل الصالح منها عن يهوديّه.

بالله أنا متأسف وقتها؛ فاعتقد –رجائي- أن ما كان حتى العقدة لم يكن، وأننا عند سؤالكم: ما الأمر يا فرويد؟ ها... اسأله يا دكتور. أعرف انك تعبت كثيراً، وأنا حملتك ما لا طاقة لمسلم به.. كنت متسامحاً جداً معي فيا لك من قلب البحر يلعب في إحدى حجراته، لكن أرجوك.. من لمّ شوق الناس لم الله شوقه. ساعدني حتى أشفى من النص، ها أرى وجهك قُرْبَ رضا........... وإن كان فرويد هنا فلأمْرٍ ويمضي. أعترف بفضله في إيضاحي أمامي إلى حد كبير، أما الْتِجَامِي بك وبأبي حامد وبابن سيرين فلا أشْهَدُني غيركم إلا إذا ترفّعتمْ.. وكفاني وقتها أن أكون مع حرف الجر متعلقاً وأنتم أصحابه.

ها.. والضحكة قد فرشت جناحين -حقاً- أحِسُّ منهما برائحة مساء في أوله، لكنهما -قبل أي شيء- جناحا ضحكة تفتّقَتْ عنها تجاعيدُ وجهكَ كتجاعيد أب. الضحكة ترفرف على ملامحي! نعم أحسُّها.. إذن أنت راضٍ.. فلتسأله إذن أيها الأب الرفيق..

- كما ترى يا أحمد!

- لا.. افعل كما يريحك.. وأذَكِّرُكَ رجائي ألا تنساني.

- أين هو؟

- في الحجرة –ولابد- يؤنّبُ نفسه، وحالاً سيحضر.

- إنك تدلّله كما لا يطاق يا بُنَيّ.

- ما أعشقنيها! ولكن صدقني أعجز أحياناً فلا يسعفني فيه تصرُّف، وعندها لا خيار إلا ما أراد. غصب عني أحياناً.

- ها هو جاء.

- لا أوصيك يا سيدي... رفقاً بي حتى ينتهي النص، ولا تنس نفسك.. ارعها بإذن الله.

- لا تقلق، لكن غيِّر تلك اللوحة فقد انسكب عليها بعض مساء من ضحكتي، وأكاد أتجمد مرة أخرى من لونه!

- لا.. سوف أغيرها. دعني أتصوّر الورقة بغير هذه الأحاسيس المسائية ......

.... حسناً ها هو ذا منسحباً وتتفتح شمس بين عينيك.

- نعم.. ثبّتْ تيك الشمس قليلاً لعلّ جدة يتشرّبها انفعالي بالموقف وأنفـ/

ماذا؟! يا لرب الغرائب... ما كان ذلك الصوت الذي ينقر تفاصيل اللوحة كصقرٍ جائع، أو كطائرٍ أسطوريٍّ يبحثُ عن فرخه المخطوفِ.

- آه يا ضيْعتي.. الوقت لم يعد يسعفنا، سوف تعامله بعد قليل حين يئون الأوان. هيا -يا سيدي- قف أمام المرآة الخاصة بك؛ لا صبر للطائر.. إن عاد إلى منفاه فقد ضعْتُ لا ريب، ولا رمز لي حينها. أرجوك سوف أنتهي.. قف. وأنت يا فرويد، حسناً وجهك يناسب سائلاً عن الأمر.. لا داعي لأن تتمثل نبرة السؤال مرة أخرى. أجب يا فرويد.. ملامحك أنت الآخر صارت تلائم الموقف كما أتخيله. فليكن الله معي، وليتك تنهي ذلك الصراع المحفور داخلي يا فرويد.. أجب.. لقد سألك الدكتور.. قف أمام مرآتك......... حسناً ركّز حتّى تتحرّك في المرآة كفكرةٍ بغير حدودٍ.

ها.. ابدأ.

فرويد يتمشى شفتاه غيرُ ثباتٍ، ينطق بصوت مخنوق (الأمر؟!...... الأمر) قسماته صارت كباري من لحم أشد حمرة من وجهي وقت أغضب بشدة، ويكرر الدكتور سؤاله بين استغراب وإشفاق، وكلمات فرويد صارت -لضيق مخرجها- تتقطع كأحجار من الضغط.. تُفْلِتُ القِطْعَةُ فترطم السامع، وَقَطْعاً يحس بصعوبة المخرج، ومدى قوة الدفع الداخلي قائلاً:

- لماذا؟! لماذ أصر ذلك السافـ/
- / أوه.
- يا دكتور. سافل سافل ولْنُنْهِ الأمر.
- يا لفقري.. أخطأت مرة أخرى.
- لا يا فرويد.. لم أعد أحتاج إلى صوابك.. عش كما أنت.. فقط تصرف بصدق. وأنت -يا دكتور- رجاءً اجعلنا نختم نص النابغة على خير. ها أكمل يا فرويد.
- لماذا أصر ذلك السافل/
- انتظر يا فرويد، ناولني ذلك القلم.
- هل من تعديل؟

- نعم –يا دكتور- الظاهر أن تأنيبَك هذه المرّة أثبت جدارتَه في نفس فرويد! ألسْتَ ترى: ذابت ملامحُهُ من خجل، كأنه يعترف بخطأ جنسيٍّ من صغره. هات يا سيّد فرويد ....

.... هكذا لتعُدْ عيناك إلى ذلك المستوى من التركيز....... حسناً. وشفتاك تتحدان هما والخدان والجبهة بهذا التصور، وارفع رأسك قليلاً.. أنت الآن غضبان وخجلك من سبب استضافتك ضوء مهزوم أمام تلك الكتل النجمية الدوارة من غضبك ابداً..

- لماذا؟ لماذ أصر ذلك السافل. ***كانعليهأنيحترمكرامتي، فلايهيننيو***
لويقدرما علمتهسالفا.

- لا تتحدّث عنه بتالك الكلمات يا فرويد.

- بل/

- /بل أية إهانة تلك التي تخفي نيزكها في عينيك كفضيحة موظف حكومي كبير؟!

- النابغة..

يهرب من النعمان على ناقة النعمان.. أي صداع يأكل جمجمتي، وغثيان ينذرني بأن تخرق يداه كيس معدتي قرفاً حين أجيب على سؤالي! لماذ أتى بي إلى هنا؟

- تعني أنك عثرت عليها؟

- من؟

- أسباب وجودك.

- نعم. واسمح لي يا سيدي أن أشرح لك: ما الذي أراده ذلك الولد من استدعائه النابغة –في رأيك؟

- ما أراك إلا شجرة كثرت فروعها فارجعنا إلى جذعها الواحد.. ها... أية إهانة هاتاك؟

- أنا لم أُلْهِكَ بالفروع يا سيدي، ولم يزل الجذع واضحاً غير مستتر بقشرة جافة ولا سميكة، وأجبني حتى تتأكد. ما المراد في رأيك؟

- أرى رابطاً لم يزل!

- وما السرُّ الجبّار في اعتقادك، ولماذا ليس الناقة وسيلة مواصلات فحسبُ؟

- لو لم تكن فـ.. . فهل كان استدعاء النابغة إحياء ذهنياً بثه في رغبة الهروب عند أحمد وحسب؟

- ولم لا؟

ألم يكن التخلص من فكرة الأب الضائع، والهروب من البحث عنه هي المشكلة؟

- نعم كان.

- والناقة إحالة إلى حال الشاعر العربي الأول يركبها هارباً من ظروفه السيئة.

- ليس من اختلاف حتى الآن... ولكن لمَ أصر على أنها ناقة حمراء، ولم يقل ناقة وحسب؟

- لعلها مجازٌ لغويٌّ..

- لا! إنّهُ يعشق التُّراث كما يكره عصيان الله!

- وكيف أعقلها تمثيل الفتى بالنابغة، وللنابغة مبتغاه الماديّ..؟

- رمز، وكان سقراط يحكم الموادّ كالمعاني، والمعاني كالمواد؛ حتى تكون النتيجة المُلْبِسَةِ مُقْنِعَةً للمُنَاظِر.

- وهل ترضى بالمذهب.

- بالطبع لا، لكن الفجاجة التي بلغها سقراط في ذلك لا يمكن الجزم بأنك تشمُّ رائحتها في ذلك الرمز الحلوب...... . تشبيه مقزز هو الآخر، لكنني أعتقد أن طعمه لذيذ لحماً ولبناً.

- ولماذا لذَّ الآن؟! . . . بَرَكَاتكَ يا شيخ أحمد.

- ماذا تقصد يا فرويد؟

- أقصد نصف الملابس الذي تآكل و/

- / لنعد إلى الرمز إذن، وعنه ما حلب يا فرويد؛ لعلك ترتاح يا.. يا سي تحليل باشا، ولنقل إنه سار على طريق سقراط ليس بفجاجته، وفي نفس الوقت لم يمكنّا القول بأن قدميه تقفانِ على أرضٍ ثابتةٍ.

- ليكن إذن يا دكتور.. فالناقة إذاً تعبير عن حصول الفتى على مبتغاه من الأب المظنون؟

- أي حمار يوافقك الرأي، وفي إمكانه إذا عطش أن يشرب من الذي حفره النابغة على الباب فلا ينقص من تدفقه شيء!! ألم يخبط صوتُهُ المَصْرُوعُ جلدةَ رأسك؟! وما كان وجهه وجه فائز اطمأنّ!

- إذن فهي تعويض نفسي أمام الناس.

- إنها واحدة، وإنما يخجل من ليس في جيبه غير قرش أن يتصدق به أمام الناس.

- فتكون للتعويض أمام ذاته على احتمال..؟

- أراها أدعى لـ . لكن النابغة كان كالغزال الذي لفّتْهُ عينا نمر شديد التركيز.

- تعني مطاردّ..

- وإن كان وجه الشبه بين المطاردتين غير مأنوس عندي، وذلك يزيد من شكّي في أنّنا جئنا للنابغة أصلاً.

- ماذا تقصد؟

- صارت دوامة أقصد فيها شيئاً، لكن كأن الموقف يقصد قصداً غير المقصود بمقصودي الذي لا يقصدني كما أقصده فنلتقي!!

- ارجعنا إلى وجه الشبه.. أية وحشة تتنفسها في ثناياه؟

- بالتأكيد تذكر كتاب التاريخ أو غلاف الكتاب، واسم الرجل المرسوم؟

- نعم.

- كان انفصالاً بلا خوف، وبعدها بشهور فتش الفتى ألفاً من أكوام القشّ فلم يكن يسعفه غير أصوات تكسّر.. ورنات إبر تقفز في لحمه.

- البحث..

- هو ذاك.. النعمان كفّ عن المطاردة في الزمن الأول، والفتى لم تزل تطارده الفكرة.

- إذاً هي رغبة لا شعورية في الرجوع كما تجري الأرانب، وإن حاول كبح عشوائيّتها صاحب البيت!

- لم أعْنِ بأوّلِ قولي إلا ذ.

- وهنا العقدة!

- أية عقدة يا شيخ فرويد.. الصبر من عندك يا رب. هل كنت تناقشني وتتعبُني في فكرة مثل ذي يمارسها أي فتىً مراهقٍ يحتفظ بأوراق وردة ثني كتابه.. يتحسّسها بزفرةٍ يوميّةٍ حتى تعود المياه إلى مجاريها.

- ماذا؟

- يتصالحان.

- وهنا الإهانة.

- ....

- لماذا لم يستدع ذلك الولد مراهقاً من تلامذته في المدرسة، أو حتى فليستدع أحد تلامذتي أنا.. لكن أنا؟!.. لماذ؟

-



- ربما تفوهت بكلمات مضحكة، أم تجدني مهرجاً عجوزاً يلبس ثوب فتاة في العشرين ويقلّد خطوتها... دكتور إننا نتباعد..

- لا.. بل إنّه يزيد تقاربنا أكثر وأكثر.

- فعلاً..

لا يحكّ جلدي مثلُ ظفري..

- بل أحكّه أنا وأبو حامد وابن سيرين يا/ . أتعرف لقد اكتشفت سراً سيريحك/

- / انظر من ذلك الآتي من بعيد؟! هل يتعلق السرّ به؟ ألديك علم بوصوله؟

- إنه بعيد فلا يمكنني تبيُّن ملامحه، لكن الحلّ معه.

- أي حل؟

- إنه آت من نفس جهة الطائر الصياح............. ويْ.. إنه صاحب "الكافية"...

أهلاً أهلاً وسهلاً!!!

- ومرحباً بك أيّها الحفيدُ الرائعُ.. تُعْجِبُنِي..

- كيف تخلّلْتَ الزمن لتلك الدرجة فعرفتني..؟

- كما عرفْتَنِي الآنَ يا ولد! لا تُتْعِبْنِي؛ لم تزل رحلتي طويلة: لي أحفاد ينتظرونني غيركم أنت والبدل.

- بدل؟! ما قصدك يا شيخَنا؟

- لم تزل في دوامتك تقصد شيئاً، لكن الموقف يقصد قصداً غير المقصود بمقصودك الذي يقصدك الآن كما تقصده حتى تلتقيا بعد قليل.

- بعد قليل؟! حقاً؟! ولكنـ/

- / يغنيك جزء الكافية، فاقرأ دروسه جيداً، ثم أخبر صاحبك بأن ابني أحمد ليس سافلاً، وانصحه بالكف عن قطْع الأحكام؛ فليس من فرد آراؤه الصحيحة، والبرهان "عقدة الخصاء" التي لم يَحْكِ لك عنها، وإذا كانت ملابسك قد تآكلَتْ إلى نصفِها، فقد عَرِيَ هو تماماً إذ لم يجد رداً! وكان الموقف صعباً فأصابه دوار أسقطه من فوق كرسي الرجل الذي لا يخطئ (في نظري).

- وكيف حاجه أحمد يا جدي؟

- لما كان الولد يأنف من أن يتأبى يهودياً فلم يجد في نفسه ألفة الحوار مع فرويد، فأعدّ له في هامش كراسة التلخيص مناقشة للعقدة، ثم سلّمها فرويد، وتركه بعض الوقت، وحين رجع إليه وجده عارياً مرميّاً على الأرض، لكن الإنصاف يجبرني أن أخبرك بما كتبه الولد أيضاً من شكر خاص لأنه ساعده كثيراً..

- نعم.. أخبرني بذلك. ولكن أين مناقشة الولد؟

- لا أدري هل هي معي أم لا؟ فلتمهلني حتى أرى. أين؟ أين؟ ها هي خذْ! وها هي الصفحة:

التهديد بالخصاء: إنني لم أسمع امرأة من مصر تهدّد ابنها بخصائه إذا لم يتنحّ عن أفعالِهِ الجنسيّة، إذن فالتّأثيرات النفسيّة التي جعلها فرويد من عقدة الخصاء حسب ما كان في بلده لها أسباب أخرى، وأقدّم بما قاله الدكتورُ "مصطفى محمود" بأنّه كان لنا خَلْقٌ ما قبل أن نلتحم بالأجساد أيْ كان لنا هوية ما: "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً"، والله عز وجل يذكّرُنا بالميثاق الذي أخذه علينا قبل أن تُخْلَقَ أجسادُنا، وقال كثيرٌ من العارفينَ: إن العبد حين يعبُدُ ربّه فإنه يتذكّر ما كان في قديم. إن في كل ذلك -كما أعتقد- دليلاً شبه قاطع بأنه لا زال فينا ذكريات من قبل الجسد، ولو شئنا لها تسمية فهي ما قبل اللا شعور، وهي كذلك تتحكم فينا بشكل ما. والحديث النبوي يقول: يولد الإنسان على الفطرة، وما هي الفطرة؟ إنها مبادئ الإسلام الروحانية الصحيحة بغض النظر عن المسمى في اختلاف البعض معي. وذلك يتفق مع قوله تعالى في سورة الزيتون "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم* ثم رددناه أسفل سافلين" واستكمالاً لما ورد في الملحوظة المسجلة قبل في الهامش وهي في الازدهار الجنسي قبل الكمون كسببٍ من أسباب فقدان الذاكرة الطفلية والتي تقول: "إنها فترة تواجه فيها الروح بكل فطريتها جسداً حيوانياً لم يتم ترويضه: أول لقاء بينهما هي لم تعرف مداخله، وهو لا يعرف لغة يعبّر بها عن احتياجاته التي تنتجها كيميائيّة جسده" إذاً تاك الفطرة الروحية التي ورثناها هي المسئولة في المحل الأول عن تلك الآثار التي عزاها فرويد لعقدة الخصاء، وذلك ليس بمفردها، وإنما في تفاعلها مع ذلك المخلوق الذي يمثل الشيئية الآن "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً" ذلك الجسد بمجموع كيميائياته التي تُحدِثُ توتُّراً ما يحتاج إلى إشباع، وهو في مرحلة الرضاعة حيوان صغير لا ضرر في إشباع حاجاته إلا أنه بتطور فسيولوجيته تبدأ رغبات أخرى في الظهور مثل الجنس. وعندما كانت الملامسة والنظر مناطق شهوية وهي الطريق المألوف للوليد وتتحقّق شهويّتها كلما سلك الجسد تجاه النضج. تلك التوتّرات الجسدية تطغى في كثيرين على ذكريات ما قبل اللاشعور. ولعل ذلك يفسّر تزاوج المحارم، ولكن يبقى للذكريات أثرها الذي قد يضعف كثيراً، ولكنه يبقى، ولعله النواة التي تكون من لحائها الأنا الأعلى.

"وبعد ذلك فأبواه يهوّدانه أو يمجّسانِهِ" أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذن فالطفل يمارس رغباته الجسديّة.. والتي لا يسعفه

القدرة العقلية على تفهّم ما يحدث غير أن فطرية الذكريات تدفعه إلى كثير من ردود الأفعال المضادة كالاشمئزاز مثلاً.. ذلك الذي يدفعه إلى الكبت أو الإنكار، ومنه إلى الآثار التي جعلها فرويد للخوف من الخصاء.. ولعل

....

....

- الله.. الله يا فرويد. يبدو أنك طوال النص تعوّض الإهانة الحقيقيّة، لا إهانة النابغة.

- حسبك يا دكتور فما فيّ يكفيني.. أي حل في ذلك الكتاب؟

- حسناً فلنبحث فيه [يمسك بالكتاب حتى يقرأ ا فيه وفجأة يصيح] إنه أبيض ورق أبيض. هل قصد الجد أن يسخر منّا أم أن سنه طَغَتْ على عقله؟ آه.. اللهم اغفر لي، ثم سامِحْني أيها الجدُّ العزيز.

- أعد الكرة –يا دكتور- لعلّك تجدُ ولو أسطراً تنبئ../

- / إنه خال، أبيض. انظر [وتتابع الصفحات وراء بعضها، وفجأة يصيح] كتابة.. فيه كتابة ها.. هي تيك.. ماذا؟ **البدل**!!

البدل

"تابع مقصود بما نسب إلى المتبوع" أي لا تكون النسبة إلى المتبوع مقصودة ابتداء بنسبة ما نسب إليه بل تكون النسبة إليه توطئة وتمهيداً للنسبة إلى التابع..

....

.... فإن قيل هذا الحد لا يتناول البدل الذي بعد "إلا" مثل (ما قام أحد إلا زيد) فإن زيداً بدل من أحد، وليس نسبة ما نسب إليه من عدم القيام مقصودة بالنسبة إلى "زيد" بل النسبة المقصودة بنسبة ما نسب إلى "أحد" نسبة "القيام "إلى "زيد". قلنا ما نسب إلى المتبوع ههنا القيام فإنه نسب إليه نفياً، ونسبة القيام بعينه إلى التابع مقصودة ولكن إثباتاً. فيصدق على "زيد"

أنه تابع مقصود نسبته بنسبة ما نسب إلى المتبوع فإن النسبة المأخوذة في الحد أعم من أن يكون بطريق الإثبات أو النفي.
ويمكن أن يقصد بنسبته إلى شيء نفياً، نسبته إلى شيء آخر إثباتاً، ويكون الأول توطئة للثاني..



اتفقا ألا يفكرا بعد الآن. لا ريب راودهُما في أنه قريب. حملا الكنبة، لم يرتاحا لمرّة واحدة، وأغلق كلاهما فمَهُ. الأمور صارت واضحة، ولكن بشكل معقّد، سهلة جداً ولكن لحد الامتناع. بين مرور بعض النبضات الحبلى بغرابة الظرف وبين مرور أخرى تلتقي عيونهما، يتبادلان أحاسيس ما أو يعزّي كلاهما الآخر في جنازة أسئلةٍ.. لستُ أدري: وقتها كانا صامتيْن، فتركتهما يفتشان في نفسيهما أو لا يفتّشان؛ فالمقصود بنسبة النّص راح ينقر تفاصيل دماغي هذه المرة كطائر أسطوريّ، لا.. ليس باحثاً عن ولده المخطوف.. إنه في مرحلة أكثر اقتراباً لا أجد أوصافاً بل كمثل شبه أوصاف له باعتبار غير زيادة الكاف.

أيتها المرايا ماذا ترين؟.... ....

.... يا عجب!!.. مرايا اللوحة صِرنَ أعْجَميّات لا يجمعُني وإياهن سوى إحساس تُثَبِّتُهُ بيْننا خيوطُ البصر. لماذا؟! يا لهجوم الآتي! أينكما أيها الصديقان؟ دكتور......... الكنبة تتحرك وحدها أيْنَكَ؛ أنا خائف من الوحدة.. وفرويد!!!!! يا فرويد، أي شقوقِ جدار الصّمْتِ اختبأتَ فيها؟ واها!! إنني أحس بكما جبلين في صدري يتنفّسُ مقبوضاً تحتكما نبضي.... آه ما أتعب السفر وحدي!! أي كآبتين صرتما تسريان في جلدي.؟ انتهضا حتى ولو مرآتين؛ لم أعد أحتمل.. أعرف ما يأتي بعدُ، وصدّقاني: لن يجهدكم أبداً.. فقط ارجعا لتبقيا معي.

تصل الكنبة حتى باب الحجرة المتنازع على وسطه، ويبدأ تحوُّلٌ:

- أيتها الغوريلا السوداء أبعدي يديك عني.. آه! هل أذوق الموت مرتين؟!..؟! أرجوك أيتها اللوحة: لا أريد أن تأكليني.. لا/

/ ينهمر إلى الأقلامِ المرصوصةِ على المنضدة، ولَيْلٌ مدركٌ كموج البحر أرخى سدوله على أرضية اللوحة، تَمَطّى بصليهِ، وأردف أعجازاً، وناءَ بكلكل، أو مد إليّ يديه ليبلعني كغوريلا أخرى...

شَهَرَ أحمدُ قلم النّهار في وجه الغوريلا، فتراجعت قليلاً، قفز إلى أعلى، وانتزع عقب القلم، وسكب من حبره في سماء اللوحة، فوقعت شمس مفاجئة لسعت عيني الغوريلا، فأفقدَتْها توازنَها إلى الأرض.. نزل ثانية؛ ليرجع بقلم النبات، راح يكتب على جسد الغوريلا شجرة هنا وشجرة هناك، وثالثة ورابعة وغيرها.. تغلغلت الأشجار بجذورها في جسد الأرضية، وتَبَتَتْ، فَتَبَّتَتْ الغوريلا في سجن الجذور فلا تتحرك. وقعد.

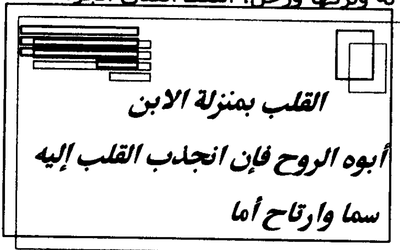
قعد يمسح عن جسمه عرق الحلم، والتدفّق يزيد. لحظات وانهار يبكي. ناظراً إلى اللوحة يحدّثها بقوّة تأثيراته النفسية ومحيط جسده، يرجوها أن لا تتغيّر، وتجيبه بأنّه قدرُهُ وقدرها يجب أن تبلَعَهُ غوريلا/اللوحة المتحولة، ويؤكد لها أن لن يفكّ قيود الغوريلا.. والشمس واضحة كوضوحك من قبل، وتفجؤه بحديث هو يعرفه جيداً، لكنه طرده كمكبوتٍ عَفِنٍ وردته هي إلى الشعور ثانية: الشمس من حبر وسوف يجف بعد بريق، والأشجار تُسْقِطُهَا الزلازل الغاضبة. ويبكي هو يعرف بقيّة النص: تحوّلات البدل نفسه، وما المبدل منه إلا تطواف حوْل البيت.. إنها تحولات بقسوة الموت والموت تَيَقّظٌ... هو يعرف، لكن آه من سكراته........... (حقاً لا خيار لك بعد إلا أن تستيقظ.)

مدت اللوحة يديها كشيخين من ضوء لابد وَيَتْعَبَانِ من المسافة بين اللوحة والفتى جالساً يبكي. بعد بطء شديد وصلا إليه وقد استراحا ألف مرة في تلك المسافة الصغيرة. كان الوقت يجري والشيخان من إعياء الرحلة لم يُعِنْهُمَا ما تبقى من الوقت ولا من حشاشتيهما إلا كلمةً: "اهرب"!!

وانطفأ. برعدةٍ هَبّتْ عيناه ناحية اللوحة، زفر بحرقة تجاه الشمس التي خمدت فنهضت في جثّتها رعشةٌ أضاءتْها لا شيئاً من الإضاءة، ولم تلبث أن رجعَتْ إلى زَمَنِهَا الجاف بعد مسافة قطعتها. يا مسكينة! راح سواد متمدّد في أرضيّةِ اللوحة يَتَقَلْقَلُ، وأصوات تكسّر وسقوطٍ تُهَرْوِلُ

عَبْرَ اللوحة، وصوت من بين صوت الهرولة لا يكتمل إلى آخره أو لا يكون لآخره أول: "اهرب"!!!

ليست حركته بإرادة منه، إنه يستحيل ضيفاً لا علاقة له بالآن إلا علاقة التذكر. حركته بغير اتجاه معروف، لكنّها لم تخطئ.. نزل على السلم يخف وزنه، وتختفي بعض تفاصيل الطريق أمام عينيه.. صار الأمر ذكرى أو حلماً.. دخل الحجرة.. كان أبو حامد يغلق المصحف بعد أن خلّل باللّسان القماشيّ، يجمع حوله في هدوء حكيم ونشاط عابدٍ.. يناديه الفتى لكن فَقَدَتْ العلاقة بينهما أذنَيْها وعينيْها، يتابع أبو حامد جمع أشيائه ولا فائدة من أن تنادي بصوت أرفع وأرفع. بعد انتهائه أغلق حقيبته وحملها ماراً من جانب الفتى ولا أذنيْن ولا عينين..... قطع جزءاً من صفحة في كتاب له وتركها ورحل، التقط الفتى الجزء



نادى: ابن سيرين ولم يكن ابن سيرين نائماً ولا واقفاً ولا موجوداً أصلاً، ولكن ها كتابه "تفسير الأحلام".. يَنْكَبّ بثقلِهِ الذي أمسى كلاثقل الحلم يقلّبُ صفحات الكتاب ويدعو:

- فسّرني حتّى أتَحَقّقَ، خلّصْني أرْجُوكَ!!

وبينما يقلب إحدى الصفحات اندفع منها طائر مخروطيٌّ المنقار، أسمر في أعلاه، ضارب إلى بياض في أسفله وعلى صدره بقعة سوداء. كانت فجاءةً حقاً، لكن يعرفها دم الفتى. كتيّارٍ كهربيّ تداخلا، وبرغم أنّهما كانا على موعد يحس بقربه كلاهما إلا أن الفتى ارتمى إلى الوراء من فزع.

هو الآن رغبة من الهروب المُصِرّ غير أن سريان التيار مستمر: رعدة تنفض جسمه، تتحوّل في لحظات إلى رعشات خفيفة، وتخف حتى الخمود.. خموده. أية ضفدعة من المفارقات الليلية تفرد لسانها وتطوي الفتى فيه!!

بين الولادة وبين انطفائه تيار متصل: ولادة القنبر الذي هرب من تفاسير ابن سيرين فالآن سيعيش حلماً قد يجد تفسيراً، لا تفسيراً قد يجد حلماً على احتمال..

لم تمر لحظات على الجسم ينطفئ، أو قد مرّتْ أيامٌ وشهورٌ.. لست على يقين؛ إنه نفس الإحساس الذي لم يُبْدِ لوجودي أيَّ احترامٍ واتّبَعْتُهُ، والقنبر انجذاب إلى الفتى يطعمه بمنقاره أو يطعم منه..

وانطفأ إلى درجة الرماد، مَدّ القنبر جناحيه يجمّع الرمادَ، فجعله طبقة فوق الأرض جعلها إلى جانبه بمحاذاة بينهما، تمتم كأبي حامد قبل نومه ثم اضطجع على الطبقة وقتاً لا معيار له، بعده نهض عن صورة طِبْقِهِ تماماً غارت في طبقة الرماد، ثم صار طبق الأصل الرمادي ينفض ريشه، ويحاول التّركيز كأنه ميّتٌ يقرأ كِتَابَهُ!!!!!

- جئت لأساعدَكَ **(طائر ابن سيرين في لهجةِ من عصر الدنيا كليمونة! طائر الرماد يحدق فيهما الطائر والكتابة..**

- سوف تعاني

أخاف **(كانت كلمةٌ تمارسُهُ دائماً، وصَمْتٌ، فبسَطَ طائر ابن سيرين مربّتاً صغيرَهُ الخَائِفَ...**

- تجربة لن تعيش سالماً إلا باجتيازها وأنا معك..

أنا.. أنت

- ... لا فارق بيننا غير سنوات من التحوّل..

- لا تتأخر.

- حاول..

- إذا لم تصل رجعتُ سجيناً عند ابن سيرين، وأنت تتحوّل رماداً لا ينطفئ حتى قيامتك..

.. ابق قدر ما يمكنك حتى أكون..

يلتقي منقاراهما قبل رحيلٍ، وتكاد تمد عينا المشفق على نفسه يَدَيْ مسكينٍ سائلٍ إذ يَتَحَرّكُ إلى وضعِهِ السّالِفِ، ويرقد كصورة غابت في وجه الرماد.

وها سواد الأرضية يطفح كبركانٍ شابٌ ضاق ذرعاً باحتضان أمّهِ الأرض،

وقرّرَ أن يستقلّ عنْها، يمد التفسير جناحيه ويجمّع الرماد في بمنقاره، وينثره بين ريشاته ويطير. وإذ هو في سماء اللوحة نزلت من عيني الطائر قطرات هي رسل إلى الشجر المكسور.. ثم أخذ ينفض ما بين الريش في كل ناحية، وينادي:

أنت بدئي

أنت بدئي

لن تموتا

ها يداها

قد أراها

تبتديكا

آه يا قلقي ونوني

يا وداعي

بعد حرف ثم حرف

من صراعي

ألتقيكا

عم بلا خوف وبري

ليس يبقى يا امتدادي

غير بيكا

نص

الأول و الآخر

الشمس لها البدل

يُكَبِّرُ وَلا أحَدَ مَعَهُ..

- **الله أكبر** .. أيها الصغير

- ....

- صل معي.. صلّ كما تراني أصلي.. لقد سمعت وقع خطاك.. ويك!

ما ألذها **بسم الله الرحمن الرحيم**

- ....

- **الحمد لله رب العالمين**.. إنه هو يا رب.. أنا الصغير يصلي لك يقرأ الفاتحة أم الكتاب ويسمي.. الحمد لله أنه كبُرَ حتى قَدِرَ أن يُسَمِّيَ، ويعرفَنِي كَمَرَّةٍ أولى..

جاء بعد أن اسودّتْ لحيتي؛ فالحمد.. واشتعل الرأس شباباً..

الرحمن الرحيم. يا قُلْ:

- ....

- **الرحمن الرحيم**.. أرى بريقاً يتدفق من جلدك أنك تُحِسُّ بِرَحْمَتِهِ بَعْدَ أن يئست سارةُ.. وَشَبِبتَ! ورؤى الحلم تنسجها ملامحك كأبهى حلَّةٍ لك؛ فلن أكلّمَ الناس ثلاثة أيام.......... أرأيت ما أجملها وإن كادت من كِبَرٍ تعانِقُ زرقةَ السحابِ فهي تليق عليك.. يا حبيبي، المسافة بينكما وأنت حلم وبينكما وأنت تكبر تكبر..

مالك يوم الدين وما أدراك ما يوم الدين يا قادمي.. إنه يوم تصير فيه قلوبنا صهيلاً يتّسِعُ برهبة الموقفِ وجلال الرهبة حيث الناس عرايا!! قد تذكر إذ كان ينقش الشيخ مصطفى المنسي تيك الكلمات في أذني وقت جسدي صغير تتفاهَمُ أعضاؤه أو تحاولُ.. لست أدري أين كنت وقتها، لكن في مكان ما تحت جلدي وفي أبعاد أخرى.. فهل كنت تعقل وقتها يا بني!؟ يا لذة اجتماع الباء بالنون، وإنك تعرف حجم عذابات التحول التي فَتَّتَتْ جسدي إذ اشتهاك، فوثب إليك..

سكيناً كنتَ ولكن لذَّ لي ذبحُها الآن.

يدق الباب ثلاث دقات: بين كل اثنتين مسافة نبضتين من قلب يحب.. تدخل سلوى في يدها قطعة شكولاته اشترتها فجاءت تقتسمُها مع أخيها المصلي.

وإذ تزوجت لم يعد يدق بابه.. كانت تحب البقاء إلى جانبه.. تُعلّمَ الرقصُ حركاتِهِ من رقْصَةِ وجهِهَا المَحْشُوِّ بالتَّعبِ اليوميّ في عينيه! صار يُحِسُّ بسريرها يحكي نومَتَهَا كقصة تجعله قرب خاتمتها يبكي..

لم تكن تثور إلا حيث هو، وهي لا تثور إلا في حديثها وحسبُ.. تثور على أبيها ولكن بينها وبين زيد المستثنى، وتثور على المُدَرّس الذي اتَّهَمَهَا بسرقَةِ جزء من بحث الترقية والذي كَتَبَتْهُ له مجاملة.. ولكن بينها وبين زيد..

تُحَدِّثُهُ عن خطيبها.. وقلقها من الزواج ومسئوليَّاتِهِ.. كيف يكتب عليها أن تصحو ذات يوم مبكراً.. فتتْعَبَ كصاحباتها المتزوّجات. فإن تذكّرت حال صاحبتها التي حصلتْ على الدّبلوم ولم تتزوّج حتى الآن..

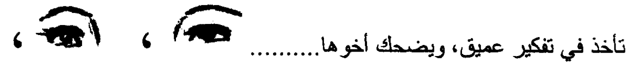
ومُحَمّلَة ملامحُهَا بمآذن الشوق إليه.. تدخل البيت وأمامه تقعد، فيغلق الكتاب شاكية -تبدأ الحديث- من الناظر.. من زميلاتها المدرّسين.. من جدولها.. كم مرة بكت فيها في ها ذا اليوم أمام الناظر أو أمام غيره..

ومن متاعبها مع الولد "تامر" الذي يُغَلِّبُهَا وهي تشرح، ولم يَعُدْ يُجْدِي معه أية طريقَةٍ دَرَسَتْهَا في كلية التربية. وتسأل أخاها زيداً الذي يصغرُها بسنوات كفيلة بأن تصيره ابنها قبل البكر.

- ماذا تفعل؟!!

- لو عزت أضربه ليكي أضربه..

- تضربه!..

تأخذ في تفكير عميق، ويضحك أخوها.......... 

، ها معاد دخولها البيت وإنه ينتظر، ولكن أحداً لا يدخل فلا سلوى! تَزَوَّجَتْ!! وهو في كل يوم في نفس المعاد ينتظر...، في أحد أيام ما قبل امتحاناته إثر حديث مع والده رفع سماعة التليفون بعد أن ضغط أزراراً لا يعرفها.. .. .. وقال:- "سلوى مسافرة.. وأنا تعبان..!!"

- ....

- لا يا صغيري لا.. ليس كعريك أنت: إن عريهم وهم كبار، وذلك في الدين حرام ومعيب في الدنيا، أما عريك أنت فهو الرؤيا التي تحملنا إلى

جزائر الزيتون فنلتقي بنا -بنيّ- في هاتاك الأرض المختلفة..

- "زيدود" ليك حتة شيكولاته أهه........ أنا ها خد حته كمان منها.. معلهش..

- أولا تذكر "أليس"؟! في بلاد العجائب! إنه عريك عريها وكان فستانها مُزَوّقاً.. أعني عريك -يا صديقي- يشبه عُرْيَ النخلة، أو عري شجرة الرمان إذ تَمُدُّ ذراعيها للمارين في جزائر الرمان حيث أنت رمانة صغيرة ترفع رأسها وتصلّي.. ولا يقطعها أيُّ فلاح. فغداً يعرفون أن لها أنفاساً منها يخلق الله شهقاتهم، وأن أنفاسها هي تي التي تزرع أراضيهم وهي التي تكون في نسائهم أثداء، وهي صغارهم أو عُرْيُ صغارهم، وهي التي تجعل البَطَّ يُكَلِّمُهُمْ في أسِرَّتِهِمْ فيطرحون ما يشبه الرمان والزيتون..

- ياه.. كل دي فاتحه، أما تخلص ابقى ناديني عشان ناكل سوا حتة الشيكولاته اللي باقيه..

- .. . .

- بالتأكيد لا. هناك الناس ستتغير، وإن هشيم جسمك الشجري الذي وَزَّعُوه بينهم ليستدفئوا به في أسِرَّتِهم الشّتْويّةِ، ثم كحكاية مسليَةٍ في مجالسهم؛ إذ لم تمش في دمائهم إلى فروجهم.. نعم لم تفعل وإنما وَلدَ رفْضُها كطيور الحريرة في مناقيرها وجه ابن سيرين يبكي ويحَذّرُ، ويتخبط يمنة ويسرة في جدران العروق، والحريرة تهجم على الفروج فتخرج ثورة عقاب وعقاباً!

إنهم عرفوا جزاء قطعهم؛ لذا لن . . . . ./ ولكن. . . . لا تشغل بالك أيها الولد الرائع فأنت كل أشجار الجزيرة هناك وإن قطعوا واحدة..

آه هل تبكي أي صديقي.. كيف تحمل كل هذا الخوف من الموتى وأنت حياة.. خذ كفي لتمسحا دمعك... آه من عينيك يا ولدي سكينان تبحثان قلبي كغراب ابني آدم. أرجوك أزح عنك ذلك الهمّ، واحتفل بمهدك فأنت الآن تكون..

- ......

- نعم.. كنا نتّحدّث في العري.. أما أنت فسوف تلبس جلدي وقتها، وإلا فلماذا أبذر عينيك صباح مساء فيّ، وأحتفظ بذلك الجسد! إنه لك يا ابني. دمه احمرار من بقايا رمانتك الأولى!!

. . ..

. . . . يا للشوق -يا التقاء بائي ونوني- إلى وجهك أن أراه في مرايا البيت.. إلى صوتك أن أحمله في حنجرتي، وأسْمِعَهُ أصدقائي وأهلي وجيراني، ويخرق آذان الفلاحين..

.. إلى أن أخطو خطواتك الأولى، وأبصم ببصمة أصابعك...

- . . . . . .

- آ. . لم أنس بالتأكيد.. هو العري **مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين** فَكَبِّرْهُ يا ربِّ.. إنني أنتظر من اثنتين وعشرين سنة، من اثنتين وعشرين سنة وأنا أنتظر..

عبدك وهو لك! وإن تكن الجبال قد هربت والسموات والأرض تأبَّت فهو سيحملُها، ولن يرجع بإذن الله. إنه يعرفك بغير حَدٍّ مَحْسوس، وهو أول صغير على وجه الأرض يعرفك بغير حَدٍ، فَكَبِّرْهُ يا رب، ولا تحمل عليه ما لا طاقة لي به.. سوف يسيل أودية بقدرها، وجسدي زبده..

فيا اللهم ما- إني أسألك باسمك الأعظم الذي إذا دُعِيتَ به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت أن تحفظه عليّ! فإياك يعبد صغيراً وكبيراً، أجدب وحقلاً، ماء أو سراباً، عطشاً وريا، وإياك نستعين أن تضحك كَرْمَتُنَا، فلا ينقطع لها يدٌ مَرَّةً أخرى، وتطرح عنباً بنات وصبياناً بيضاً!!

اهدنا الصراط المستقيم لنصير عصيراً في زيتونتك التي تحب أن نصيرُ عصيرها، ونكبر شوكاً في رمانتك فلا يَمَسُّهَا -وإن أطْعَمَتْ- أحداً. **صراط الذين أنعمت عليهم** فرأيتهم يكبرون ويهللون إذ يهزمون السرو والدلب وصفصافات شارعنا، وتجف الأشجار التي لا نعرف لها أسماء.. وأشجار اللوز فلا نبكي..

الذين أنعمت عليهم أولئك الغطاطيس أوطانِنَا تُرَبِّي وتعطي، ولا تَنْتَظِرُ إلا قُطْفاً من النظرات إلى وجهك. . . يا لرهبة الموقف ولذّته.. وجهك الذي يخلق نعيمنا الأكبر؛ لأنه سيجعلنا من أولئك الذين هم **غير المغضوب عليهم ولا الضالين..** آمين..

<< ما أثقله الزحفه في ترابي.. وهو لا يعرفه إلا هو،
حتى ولو سدّ مَيَاهُهُ أنفي! لعلها سكرة وبعدها أستيقظ!
أرض ما-
منذ سنوات العمر البكر>>
<< كلما اشتهى شيئه اعترانى صـوته مـن ناحيـة
البدء، أحاول، ويرحل صامتاً مثل وجع
أرض ما قد تكون مكان بيتك..
في سنة ما بعد خمس سنوات قد سنك>>
<< منتظرة البعث بعد ولادة الشيء، فمنها ما انبعث
ومنها ما لم يتذكره شيئهُ برضاه. فَلْيَتَذَكَّرْهُ في الآخـرة
إذن...   مسجد "عبد ربه - وقته رأيته وجه
إمام المسجد الشيخ مصطفى المنسي>>
<< آه أيتها النفخة هل أتذكر وجهك؟!
آدم ———— في زحام تحسه أحياناً
أو دائماً>>

ليس في البدء، وليس في النهاية كانت آثار تتوارى.. يتشـربها ضباب كما يلعق الطيور والأشجار ويسد الطرق.

هي تجمّع جسمها من أنفاس الماكّنا وحُصِيّ الأرض، وتَهَبُ شَفَّافَةً هي بقدر ما ترى -من بين الحصى- الفضاء الذي يتحلّل إلى آخَر.. وجْهُهَا جزيرةٌ مـن الهويّـةِ والشـيء أو بينهمـا.. لسـت علـى وعـي بالمقـاييس؛ فالمقاييس هي الأخرى بقايا مرمية إلى جانب شيئي.

لها ما يقرب ما يقرب مـن ثمـاني أربعـين جناحـاً: أحـدها مسـافة بـين الشيء واتصاله بالروح، وأحدها كتاب عمل الخلق، وأحـدها مسـافة بـين مسجدين، وأحدها شجر منجور، وأحدها عمر نبي جاء بعـد انتظـار بوجـه لست أعرفه، ولكنني انتظرته عشرين عاماً، وأحبه أكثر من نفسي..

هي:

صاعقة التَحَوُّلِ الأبديّ.. جمّعـت كفّهـا مـن زواج الأرض والسـماء فكانَتْ، وانسـكب الهـواء مـن أطـراف أجنحتهـا فتَنَفّسَ المـوتى، بعضـهم يتذكرون الميثاق والعودة، ومن زفيف الأجنحـة انبثقـت الأصـوات واللغـات، فقلّدَتْهَا الأشياء في صرخة غجرية ثم في صوت يمتد بـين العـري والثـوب ثم ثوب محتضن كأب، وأحياناً لا زال مراهقاً..

سيّلَتْ عينين منها غدراناً وبحاراً، مدّتْ كفّيْها -فسرت سخونة الوجع- في الماء، وعندها احتملت الأبخرة إلى فوقُ، فاكتسـى فوقُ بزرقـةٍ منهـا انبعث حلمٌ ما إلى أذهان الموتى، فمنهم مُتَذَكّرٌ ومنهم ناءٍ.

....

....

راحت تُجَمّعُهُ: قبضةٌ مـن أسـاس الكعبـة "البيـت" ، وثانيـة مـن جنـب أسود أو أبيض، وثالثة من أرض باردة، وأخرى ساخنة وأخرى تحـدثني ولا أعي عنها.. مَزَجَتْهم ، فصار جسد استقرّت قبضة الأسـاس فـي صـدره.. في صدره حبستها لغة الشـيء الـذي لا يعـرف إلا هـو، وهـو نـار فـي دم الجسد.. شطنت إلى أشياء شتى حتى استوت شيطاناً راح يُطيف حول الجسد، فانفرط من كتفه اليسرى بعض الموتى.. طافوا حولـه فـي مكـاء وتصدية ورقص لا يعرفون غير احتياجهم فعجزهم، وجاء من بعيد:

يخبر العقـــل أن القوم ما كرموا ولا أفـــادوا ولا طابـــوا ولا عرفوا

عاشوا طويلاً وماجوا في ضلالتهم ولا يفوزون إذا جوزوا بما اقترفوا

قيل: ادخلوا النار ولو...، ولم يبالوا.. أوقدوا النار في حجره، ولم

يفارقهماالعجز، فأدرك الجسد حرفاً من لغة الصدر، وانقسم على نفسه بين طائع وعاص..

لما صرخت صاعقة التحول بقدومها تخفّى الشّيْطانُ في فم الجسد فتأثّرت أغشيةُ الفم، وكانت شهوةٌ، سرى في طبقات الجلد ثم دخل الصدر، فتأوهت المضغة فيه صارخة: << أيها الآتي من العصيان إن في أصابعي موتك، ولكني أنتظر حياتي..>>

كان يتفتّقُ من صراخها ﴿موت ما لوقت﴾ **و أعلنت ميثاق الإقامة بالرحيل بعد أن تركت وقع خطاها في سر الشجر** المتكسر أو يكاشفها الغافل في شهقة الأشجار الجديدة، والمبعوثةُ فيه يزداد إيماناً.

وقتها تحرّك الجسد وبدأ رحيله، وأصابع المضغة تفتح الينبوع، تنبجس السحالي والثعابين.. الضباب تجيش من حولها.. لم يبق لها غير حديث النخل وجذوره والطلع المُكتّم في مساربه العميقة حديثاً **(كفير آدميين دائماً)**.. لن يقطعه الدكتور ولا أي من الضيوف الأعزاء، وقد يؤثر فيه حياة المضغة حين تأتي..

سلام حتى مطلع الفجر
سلام

نادتها صاعقة التحول:

- أيها الابن البار بأبيه..
- وأين أبي؟!
- في سفر.. ذات يوم سينهمر نفخةٌ فيك، والآن مرّ على البلاد.................

.... ونام.

حينما استيقظ وجدها قاعدة عند رأسه.. كان يحس بوجع في جسديهما. سألها:

- من أنت؟
- امرأة..
- ولم كنت؟
- كي أرعى شجرتك كابني، وتحميني كأب..

سألته الصاعقة:

- ما اسمها يا ق ن آدم؟

- سلوى.

- لم كانت؟

- رزق، من تحوّلاتي التي أعيشها أو ستعيشني [عيناه إلى سلوى، ويتابع كأنما يلج مدينة من الذكريات الأولى] في أوقات تدخل في لحم شهقتي كدهشة السرور أو كدهشة البكاء، في وحدتي كغربةٍ مسرجةِ الصموت أو لقاء، وعيناها نبضتان من موتي لوقت ما.
هي الأرض تحمل جزائر الزيتون في عين، وجزائر الرمان في الأخرى [ترفرفان عيناه إلى ملامح سلوى.. سلوى طيبة إلى درجة أتذكرها، فترفرف بقايا فيما أو قبل الصلاة، أبحر كالعادة في عينيها وبكى..]
يشتد زفيف الأجنحة/

- / إنها الصاعقة.. ترحل أم نرحل! تعلو أم نهبط؟ (قال آدم أو زيد، وجرى كسرعةٍ بغير قرار قبليّ متوسّلاً إليْها ألا ترحل............وي! صار إلى مكان أو وقت بعيد، وبالرغم من ذلك وجدها واقفة قرب رأسه.

- دعها.....

إنها مأمورة (قالت سلوى مشيرة بيديها كالطاردة شيئاً...

- من أمرها؟

- إنه/

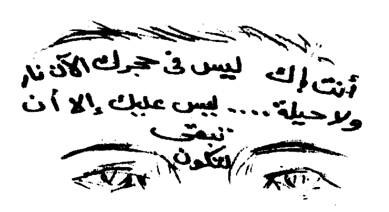
- / انتظري أيّتها الصاعقة. أخبريني: ما اسمي؟ والذي كان هبوطَنا أم صعودك؟! (ومتصاعد الأنفاس كإجهاد جلس يبكي، ولما حضنته بعينيها سلوى ابتسم، فاختلط على من رآه مأساتُهُ وسرورُهُ، وإذ ابتسم انفردت ملامحه فتوارت في اتساعها لهجة الحزن شيئاً.. في اتساعها كغفران أب.
حاول بوسع آهاته المستترة بجسده أن يناصر وجوده كإحساس، ولكن سقط في نهايات هاءاتها، وها بين كفيه رأسه غلبت عليه سخونة الوجع، وتحس في عينيه وعدَ ابتسامةٍ، أو أنا أحْسَسْتُ بذ.

- توقفي ، يقرص أعماقي أسئلة: لم أبكي؟

فتـــــها د ى صـــوت الصاعقة كوجه من بعيد.. ليس من طيات غروبها، وإنما كحنين من وجه سلوى، فأدرك أن عمرها مُمْتَدٌّ ما دام صوتُهَا من غير مغربها..

- هي الكتابة فوق جبينك اقرأها.

- ماذا؟!



أقعدته الصدمة، وانفجر بكاؤه، وتكسر **ص** و ت سلوى من إشفاق:

- قد أفارقك وقد تفارقني..

- أنت؟! .. أنا؟! .... نحن واحد.

- لا، إننا أربعة.. أنت وهو وأنا وهي، ليس لك وجود واحد، أنت ابني أو أبي.. المسافة بينكما ضيقة، واتساعها احتمال لا أتوقعه، وأنت ستأتي فيما بعد، وأنا فربما...

- وأبي؟ أختبئ في معطفه، ويبسط كفيه كجناح على رأسي في الشمس.

- تركنا (وتمدّدَ تـكـــــسُّــــرُ صـ و تـ ٥ ١ في هاااااااااءاااا

ت فَقَدَ ذاكرتي بها، كانت ضحكاتها بحجم تسلُّل هستيريّ وموتٍ وبقاءٍ وفقدان ذاكرة، أو محاولة فقدان بحجم تأثره، مسافة بينهما تتنفّس من وقتذا، وها أخذت تضيق.. وسلوى تدفقت كفاها بلبنٍ له بياض التودُّد:

- أشعر بجوعك –يا صغيري- ارضع.

- ويجيء أبي؟

- أبــوك؟!!

امتطى الناقة ورحل رحل.

يزيد زيد في عب اللبن كأنّ مبحراً عبر تَدَفُّق اللبن قادم إليه، عبثاً ويمرّ الوقت بلا قادم، حتى راح يمصّ إبهامه بدلاً وهو في صمته ينظر إليها، حتى فاض بها كانفجار.. فقالت:

- قلتُ: تركنا ورحل وكان معه سكين..

انفجارها صار في عينيه طوفاناً حتى يجرف يتمهما معاً، ويخصّب بصيرته، وعتا الطوفان إلى بعيد.. إلى حيث رأت الأب راحلاً؛ فوجهها قُطوبٌ مستقرّ إلى ما شاء الله، ولا ينجرف اليتم من عينيه..

- ألم تجع يا صغيري (وصمت، هو ناظر بين الاستغاثة والتراجع عنها)

- عندك جراب التمر، وسقاء فيه ماء........ إنني جرّبتُ إثره متوسلةً بِجِلْبَابِهِ وأعزّائه، لكنه لم يتذكرني، ونأى ( ) لو أردت الجراب فَسَمّ الله ينفتح ( ) قال إنه مأمور.. لكنني لا أصدقه/ الماء؟ ها هُوَذَا اشرب يا حبيبي/ ليس إبراهيم.. أتعرف؟ لو كان إبراهيم لارتاح قلبي وسلّمت أمري لله، هل نِمْتَ يا صغير؟ نَمْ

"إن هذا المهد يحرسه الرجا"

هل نمت ؟

(ويبكي إسماعيل بغمغمة مُقْلِقَة:

أماه تي الحياة وجهها كئيبُ
وفي ابتسامتي يصوت الغروبُ)

- ويقف الحمام جنبنا ينوحُ
وننتهي كجثة يمسي بها في بطنه
ضريحُ.... . ...

سرق الليلُ السقاءَ، وعبّ مِنْهُ الماء واستحمّ، فَكَانَ الماءُ أحد الأسودين، وترغرغت عينا سلوى بقطرات الوجع، فصار لبياضها بعد انكسار انفجر منه صباحٌ طيّبٌ، لَكِنَّهُ عجز عن الصمود في معركة الليل النشيط بعد استحمام، والتمر نفد، وإذ بلغ العجز مداه طفق الصباح يختبئ في الجراب كفأر أفقدَتْهُ توازنَهُ ركلةٌ.

واستيقظ إسماعيل عيناه وردتان قلباهما الليل، والليل يبتلع أنحاء المكان فلا يبين صوت الصاعقة، أحنى رأسه كزهرة عباد الشمس حين توقظها كلمات الضوء، و. ... . بكى، وبعد وقت لا مقياس له بعدُ هب مفزوعاً من بكائها..

- سلوى لم تبكين؟!

أخذ يربت على كتفيها متمتماً بأدعية، كان يحتمل بكاءه المكتوب ولا يعرف آخره، ولكن هل يمكنه احتمال بكائه عليها، وإذا تغيّبتْ عنه فهل يبقى له اسم أو عنوان..

- حدائقي ذابلة..... وأنت..../

- /لا تقلقي! سيعود يا أماه! وهل نهون عنده؟ (قال، وجعل يخيط لها فستاناً من شَعَر الضأن الذي أتت به الصاعقة، وصعدت أو هبطا، ما زالت الأم تبكي ومضغته اختناق لها كغناء مظلوم قُرْبَ يَقْنَطُ:

أبي أبي
تعال كابتسامه
أبي أبي
لتمحوَ الغمامه

ونادت سلوى كساقط في دوّامة، كانت في زمن التحوّل الثاوي على الأرض:

- عطشى... بلّ حلقي بقطرة ماء..

كأنه يتذكّر بغير تركيز أو في حلم جعل يحدّقُ في محيطاتِهِ، ولم يجدها، جرى كالهارب فتعثرّت قدماه في ثدييها، لم يختلطا بالأرض بعدُ..

- لعل فيهما قطرة..

واقترب بيديه منهما فاندفق كطيور صفراء نقرت كفّيْه فارتعشتا. نداء سلوى استهلاك في دمه، فيحاول ثانية فتنفلت كطيور حمراء فترتعشان، ونداؤها استهلال في دمه، فيحاول ثالثة أو كاد إذ انسربت كطيور سوداء أذكر إحساسي بها، ويساورني في أحلامي.. لم تتجه إلى كفيه وارتحلت إلا من ذهني..

- سلوى..

هل عقرت الناقة؟

- ليس أنا، أنا عطشى، اسكب على ترابي ماء بسم الله.

جعل آدم/ إسماعيل يحملق إلى ترابها وهو يتلوى أو يتلبط، وانطلق كراهية أن ينظر إليه، فوجد الصفا أقرب جبل في الأرض يليه، فقام عليه مستقبلاً الوادي ينظر هل يرى من أحد ثم سعى سعْي إنسان مجهود كان في تحول سالف أو هو آت أو تحول في نفس الوقت تحوّلٌ آخرُ، حتى إذا جاوز الوادي، ثم أتى المروة فقام عليها ونظر هل يرى من أحد فلم ير، فعل ذلك سبع سنوات فلما أشرف على المروة نزلت الصاعقة بسحابة صبّها على سلوى فطلعت شجرة مثمرة..

- إنها شجرة اللوز (قالت الصاعقة وراحت..

....

عـادت المسـافة بينهمـا تحـرِّك رئتَيْهَـا، ووحيـداً عطشـان.. ووحيـدة وعطشى تربت على جنبه إذ هو في حجرها..

- تأخَّرَ يا أمي..

- نعم.. هو تأخر..

- أخاف أن كان مكروه..

تلبس الشمس قميص الدم الذي اندفق من أجساد جنودها الضوئيّة بعد معركة نهارية أضعفت قوّات الشمس قرب المغرب كذكرى، وتغمس جسمها في دم جيوشها حتى تحمّسها في معركة قادمة.. في ركبتي الشمس جرح بعرض الريح، والأفق ينابيع دم مفتوحة للطير والنخيل.. سلام هي.. سلامٌ..

هبّت الصاعقة في صورةٍ حيّةٍ. كنست مكاناً وقالت:

- جعلناه لكما حرماً آمناً فابنياه؛ يكون بيتكما فلا تتخطفان من حوله..

حملت سلوى معولها، ورغّبَتْهُ في أن يحمل معولاً حتى يضعا الأساس:

- أماه..

هو ثقيل عليّ..

- يا حبة عيني، إنه مكتوب عليك، وليس عليك الآن إلا أن تبقى حتى تكون..

بعد بلوغ القواعد بنيا الركن، فقالت سلوى:

- بنيّ.. اطلب لي حجراً.

- وأصبر بإذن الله.

هبّتْ الصاعقة بين جناحين ياقوتةٌ بيضاء كثغامةٍ، وسلّمَتْه الحجر. وقتها أحس برائحة تنبعث من وجوده الذي ينتظره.. لعل عبادات الشمس أنفذت وصيته على وجه حسن، واستُجيبت دعوتها. يا لانتعاش الحضور.. كنت أحسبها -أيام الميثاق- اندثرت إلى الأبد... والحمد لله إنه وعد الابتسامة بالعودة..

- إنه أنا أعود بالحجر يا أماه.... أعـ...

- يا للولد.. هل نمت يا إسماعيل. إسماعيل.. انهض فلدينا عمل نحتاج إليه../ ها من أين جئت بهذه الياقوتة البيضاء كقلبك يا صغيري.. إسماعيل.

- آه..ــاذا؟..... لابد أنـ....ـني كنـ..ـت أحلومْ.

- الحلم رسالة تبشر بقادم..

- أو مكبوت ماض يحدد حجم القلق المخزون (صمتَتْ كمن فوجئ ولا إجابة لديها.. وقفت على الياقوتة وراحت تبني حجراً فحجراً، والمسافة بينهما تتَّسعُ رئتاها...

- أمي.. عطشان. (حفرت في الجو جدولاً إليه من عينيها فشرب، وشربت الطيور والنخيل.. كانت المضغة إلى جانب الجذور، لكنها لم تقو على الشرب ما يكفي..

- أماه.. أجهدتني المسافة بيننا.. أخاف أنني وحدي كاليتيم لا تتركيني أرجوك فيّ ما لا يستغني عنك لأنه لا يعرف غيرك..   إن الحجر اسود..

- أبوك.   ... أبوك حي يَأكُلُ.. (ونزلت إليه في هدوء لم يشعر به من فزع، وحاول ألا يفهم.. جعل يحلم بوجه أبيه يفرش الصحراء من حول البيت حقولاً صديقة، ويزم أماني.. وفي غناء سمعته أذنيه:

يحملني في معطفه..

ونمشي

- أمي هو إنه هو يا أمي.. (نادى بصوت نائم وقد صار الحجر كلّه أسودَ..كله.. كان صوته هويّة تختنق، وشيئاً يتنفّسُ وهو لا يعرف وقتها إلا هو.. وإن كُنْتُ حاولت انتشاله من الغرق فقد فشلت.. كان هو صغيراً، والحاح المضغة يبذل مجهوداته الممكنة، وتوترات الجسد تتابع تياراتها.. صغير في انتظار أب ولم أك موجوداً حتى أنفذ رغبتي في نجاته.................................. وأتى أبٌ.

- إنه أنت يا أبي.. أعرف وجهك، وتحفظ هويّتي إحساسَها بك من وقت الميثاق.. مكتوب حبُّك فيها، وأنت خُلِقْت كي تعبد الله وترعاني..

هَاءَ يدي علّقْها في يديك، أو أرجحْني وأقف على قدميك.. اقعد على الحجر وأرجحني.. ليس في البيت أثاث تقعد عليه غيره، وللأسف اسودّ..

لا أدري لماذا؟ لكن أمي قالت....... آ.. أقصد سلوى/ أبي؟! إلى أين أنت ذاهب، ها! كم أنت طيب وكريم.. يا أبي أنت الذي أتيت بذلك السرير المريح.... الان أرجحني.. لا يا أبي السرير هابط، والحجر أعلى، إنني أحبك بكل ما ورثته من أسرار أجهلها من قبل أن أكون شيئاً.. أبي كيف تبعدني عنك وأنت الروح، ألا فانهمر فيّ حتى يتدفق الدم في قلبي آه وجهك يجبرني على غيابي، وقضيبي ماله يتلذذ بطعم الدم المتدفق فيه! إن قلبي هو الذي يجب أن يفعل لا قضيبي!لم يؤن أوانه بعد! وأنا أكره أن أصير إلى ذلك الحد، فلتذهب إذاً..

أين سلوى؟ أين اختبأت؟ أمي اهربي أو عجّلي بتحوّلك، لكن لا تستجيبي له، إنه آت لا إلينا ولكن إلى أجساد الموتى وأنت غير ميّتة، أنا أعرفك لأنني أعرف نفسي.. أنت حية كما الصاعقة حيّة.. آه أبكي للمرة المائة.. فمتى أكون إذن؟ تالك رسالة الحلم صارت شيئاً من الأشياء، حتى كاد يرسخ فيّ الشيءُ كملك بلا نقاش ما دام الأب صار شيئاً..

لا تبكي يا أمي.. أحبك جداً والله، ولكن كيف أعيش كرجل بغير أبي.. إنه الطريق إلى أن أكون.....

اقرئي جبيني.... فأبي بكائي حتى أكون، طفل عبر مضغتي يصرخ يا أمي من أساس البيت وإلا انهدم بيتنا.. يتعذّب حتى يعيش طفلاً، أما أنت فتحولات لي يا سلوى.. أنت أختي وكثيراً أنا ووقتاً أمي، ووقتاً مستقبل لا أعرفه، أو ماضٍ يتوارى../ / حلقي جاف كهشيم، وفمي لا / / انظري يا سلوى إنه يضاجع امرأة فوق السرير.. أرأيت؟

لا أريد ماءً، اهربي.. ألا ترين؟

لا.. .

عطش... .

يتراجع طفلاً يتشهى انسكاب اللبن صوتَه ولونَه، لكنه لا يدرك أن جلدة سبّابته ليست حلمة، وتتجعّد سبابته ولا ارتواء.. وتتجعد!!

تصحو سلوى من إغماءتها لتصير سكيناً عارياً يبرق فتتخلّق من بريقها شموس تبشّر الصباح المختبئ بقرب انطلاق، وتشقّ الأب نصفين، لكنه يرتدّ ملتحماً في كل مَرَّةٍ، والشيء الميت له طبيعة واحدة لا تتغير (هذا مكتوب).

فتنطفئ سلوى.. تسقط شموسها كأطفال من فوق ارتفاع، فَتُغْمِضُ الدنيا جوّها، ويَنْبَثُّ حديث الموتى في الأنحاء ومعظمهم يلتذ بغرائز

الموت...

ويصير الأب أثيراً محيطاً بهما، وأنا أتآكل بالرغم من أنني لم أكُنْ بعدُ إلى حدٍّ ما. جرت سلوى تعتصم بالبيت معها غصن من الذهب، وهو لا يحاول البقاء؛ فالاختناق عنده بدء لذة التحول في حياته، أو الحياة في تحوله، وتشدّه سلوى....... ....

مكبوت بغير ملامح ولا حدود هو الآن! في البيت يحلق شاربه ولحيته، ويفكر............ ثم هو يرجع يلملم شاربه، ويلزقه في وجهه ويحفُّه، ويلملم لحيته.. كان يبدو فيهما رائعاً:

- إنها سنة نبوية...... سلوى يا ابنتي...

(يهبط وجه الصاعقة مكسوراً عضوها التناسلي، وأول مرة ينكسر:

- رحلت.

- (   ) (   )

- تحولت.

- (   ) (   )

- ....

- ( ) (   )

- لا تكفر.. هذا مكتوب.

- لاااااااه...

سلوى تحجبها الدنيا عني..... آااااااه

يا لك من جبارة أيتها الصاعقة.. إنني أكرهني، وأكرهني بطاقة فوق احتمالات صدري.......... سلوى؟!

كانت إذا ضحكت سلوى..

ضحك الكون جميعا "إكرامي قورة"

ـــــــ يسقط من كفه شاربه ولحيته، فيدوسهما، بقدمين كأنهما إنزيمان كسولان لم تدوسا غير الشارب واللحية. عاشا في لحمه كضيفين من بلد غير معروف، ولا لغة بينهما يفهمها، ولم يدفعا إيجار دقيقة واحدة منذ سكنا في شقوق لحمه..

ومادام الإنزيمان كسولين فليرض بواقعه وليُبْقِ الضيفين عزيزين أمام

الناس. يسير في بطء مهتز كتكوت حديث أو ديك قديم.. قديم جداً.. يغلق باب حجرته فهي لن تأتي.. وهل سيأتي حتى ولو صافح شيئيهما. يطارده وجه أبيه كصفة مرعبة.. آه إنها نفس الزلزلة الوقحة تتغلغل في أعصابي وهو يطارده مثل أن يطارد صياد قطعاناً من الغزلان الصغيرة.. نعم قطعاناً لا غزالاً واحداً ولا حتى قطيعاً واحداً.. قطعاناً لم تدرك بعد أن هناك من يصطاد غزلاناً إلا أن ميراثاً معجوناً بلحمها جعلها ترتجف إلى وراء................. والرجفة تسحبها إلى وراء ثم وراء ثم وراء ثم... تعثرت خطواته في أوراق.. مجموعة أوراق مبعثرة تحملها المنضدة على ظهرها كحمار يحمل أسفاراً بئس مثل الصديق هي! في ورقة منها تتعامل معك نخلة يتعب المريد من بلحها، ولكن ليوفّر المريد جهده إنه بلح غير البلح.. أحمر..نعم، وكبير.. نعم، ويُغْري من بعيد.. نعم، ولكن من بعيد...... بعيد فقط.... إلا إذا كان طبيباً أو سمّاً سريعاً

وإلى ورائه لم يعد وراء غير وراء جدران الحجرة، هل يهدمها؟؟ يالها من لذة كِدْتُ أعرفها في انهيار الجدران بيدي، وبغتة طيّرَتْ الصاعقة القلم من يديه فارتد إلى يديه سيفاً لهذماً، أو لم يكن بغتة.. إن بريق الشمس التي أنجبها السيف تضعف رؤيتي،يحكم أصابعه حول السيف، والسيف لا مقبض له. غائبتان عيناه وراء الجفنين جعل يمرّرُ السيف في جسد الورقة، وبعد أيام يستيقظ كميّتٍ ليخاف من إظلام مقبرته. ولا تنسى النخلة أن تزيد من إغرائها البعيد ببلحة أخرى، ويبقى وجه أبي ـه.، ومجموعة من الأوراق..

وموسيقى إذاعة الـ f.m تتمشّى عَبْري، وأحاول أن أطردها، فكأنها تنحدر من قمة جبل ليلاً، ليلاً كان يردّدُ نصوصي كصديق يخفّفُ عنّي، وانحدارها يُدْخِلُها فيّ مرة أخرى غصباً عني فتتمشى عبري..

ويسقط السيف بعد أن زادت جراح اليد، وانطفاء قرص الشمس يسقط شيئاً ثقيلاً على إسماعيل الذي جعل يصرخ، ونادى صاحباً له منتثرة أجزاؤه بين الموتى..

- سلوى... رحلت.

ووالدي/ (/ لا أذكر إجابة هذا الصاحب عليه فقد كنت مكبوتاً تحت ثقل القرص.. فقط أذكر أنني رُحْتُ أبكي..... ... ..

....

لم يكتمل انهيار الروح فيه، وأحسب لم يكن انهمارٌ أصلاً، وثب إلى

فاكهة الجنّة.. وغريبانِ عن بعضهما البعض الجسد والماكنا.. لكليهما لغة.
وقبـــل أن يتعرّفــــا وثـــب، فَضَـــلّتْ قـــدماه، وذل كثيـــراً..
آاه.................................... ....

.. كانت رحلة صعبة، ....، لقاء الجسد بما كنا هو البدء في كل تحوّلٍ، وظنّ أن بكاءه انتهى، وأن يقدر على صراخ يكسر عظام الكون بكلمته: "أنا موجود". وبالطبع إذا كنت أنتظر قدومي، ثم في ذات تحوّل أجَدِّني فسوف أحاول كأي مبعوث أن أحيا كما يحب أنا..

ولكن -أنا- كان وقتها ورقة تكاد تمارس خُضْرَتَهَا، لم تعاشر أقدار الطبيعة، فتبقى المعاناة سبيلها إلى الغثاء الأحوى، وعليه فأنا الآن متأكّد من أنّي بعدُ انتظارُ قدومي، ووجدتني حاولت كأي مولود جديد أن يحيا كما يحب هو..

بعد وثوب راح يتحسّسُ ذقنه وشاربه، ويلتذ بملمسهما الطويل الخشن، وقد نسي سلوى. نادى:- "حواء.. حواء اخرجي عليك سلام.. لم يعد لديّ بكاء.. اخرجي صاعقةً من ضلعي -يا زوجتي- حتى أزرع فيك أولادي.. اخرجي إن شعري اشتعل شباباً.."

نادى ومن فوره صحا فزعاً، وبواعث بكائه يزداد توتّرُها..

- "ليس وقتها الآن؛ فسلوى بصماتها لم تزل في بريق عينيك.. ولن تجيء زوجتك حتى تمحي البصمات.... لم ينته بكاؤك بعدُ.. هاءّ ظهورَ الـ**سفر**جل في انتظارك إلى بلد لست بالغَهَ إلا بقضاءٍ بعيدٍ، فابذر السوسن في ملامحك، وانصب.. إن بعد العسر عسراً، بعد خطوات سوف يهاجمك ذباب له شحيح البغال ووجوهها،............ إن بعد العسر يسراً..

لا تزعج جوادك الآن.. لم تصر بعدُ أباً واقرأ جبينك؛ فعليك أن تبقى أيها الابن حتى تكون..حين تسنح كيمياء دمك"

تحمله الصاعقة ليرتدّ طفلاً إذ تفرُكُ أحلامه كالبطّةِ؛ كي يتعلّم كيف يشتاق لا إليه، ولكن إلى أبيه...

مكسوفة هي الشمس، وحلف القمر ألا ينزع عن جسمه عباءة السحاب أو يؤمر،.... ....

.... أي ظلام تشرّبَنَا يا صديقي.. تغيّرت معاني الحجرة حوله؛ لأن أحلامه عادت إلى ما قبل تحوّلها الذي كاد يبدأ من وقت، ثم هو ذا يمّحِي حتى تمحي بصماتُ كفِّهَا..

- "رفقاً.. كفاك تخنقانني، والوتد نفذ من سقف التربة، فإذا اندق بعد ذلك شقّ رأس ابني الموعود.. آه أه..!! إنها الزلزلة الوقحة فيؤرّقني وجهي ويمتطي صهوتيْ عينيّ الواقفتين كاستفهامين ساخت أرجلهما في أرض الحيرة العاجزة، وأنا أقف على على ... لم يكن شيء.."

قال كحاكي حلم يعاني سكرات التذكّر فوق فراش الامّحاء. أضجعته الصاعقة وأخرجت قلبه.. نفختْ فأخذ النسيان أحد وجوهه من دم المضطجع، وطار إلى فرع شجرة في الكون؛ لعله يلتقي بالطيور السوداء هناك، والكون يكاد ينتهي من تحوّله إلى فراغ بلا مقياس وقتاً آخر.

وقت بَلَغَتْ النفخةُ رأسَهُ عَطَسَ.. وددت وقتها أصرخ كأي خروج، لكن لم يكن -أنا- ابنه الذي ولد من عطاسه. لا.. إنه وجه/

- "/أنساه، وآخر أفتّشُ عنْهُ في ركامٍ وليس يحدثني... آه! أيها الوجه الغائر في مسامّات جلدي شجرةَ رؤيا أو شجرة كابوس أو شجرةً أوراقُها رؤى، وثمارها كوابيس.. أي رجل له وجهك أنت؟"

قال الطائر / زيد، فعقابان كأنهما انزعجا، فاندفقا من عيني الرجل يفقأ منقاراهما شهقة الطائر الأولى، وعقعقّ من فمه -أذكر امتداداً ضعيفاً من إحساسي به كدت أسقط في ذكرى رماد أحاطت بي، وكان العقعق يعلق في قدميه وجوهاً شتّى، لكنها غير عطوفة وإن تشكل من اختلافها ليلي ونهاري!!

وكبشاً تنفطر أصابع زيد.. يرعاه ويغذّيه ويستعد ليهديه إلى أب.. أي أب كي يطعمه، فيحمد الله ويقول لزيد: شكراً يا بنيّ! إنني فخور بوجودك!! صرخ زيد:

- "لا......

لا اسمي إسماعيل، ولا رقبة لي.. قد أكون نسيتُها في إحدى تحوُّلاتي السالفة أو التي تجيء.. لا رقبة لي.. صَدّقْني.. وأية سكين تالك التي تلبس كسوف الشمس وكأنه امتياز عسكريّ، وينْفَجِرُ من فمها الطوفان الأول.. آه كيف تراكمت في حدّها تيك العصور المرهقة، وأنا في بدء التحول لم أزل أجهل كيف أنجر سفينة، والمسامير التي جمّعْتُها في تحوُّلاتي صدئتْ تحت جلدي....... أيها الراحل عبري كأغنية جفاف تعتصر المشاهد في تحوّل.. إسماعيل مات، وكان لمّا كان إبراهيم، ورقبتي ليست../ اسمع: لا يمكنك ذبحي. مكتوب عليّ القلق.. أعرف، ولكني لا أموت اليوم....

..لا .. قلت لك ذبحي مستحيل (   ) واها.. من كتب على سكينك أسمائي!"

عرق فائر منه يتقافز كفِرْقَةِ رَقْصٍ من "سيرك"، يحفر خدّيهِ مجاريَ إلى بحار الصاعقة والتي لعلّها أخذت هياجها من فورة عرقه، ويرتعش جسده منسكباً، وبعد.. فغصباً عنه يتجمع...

- "إنني بنك يا أبيـ/"

/في استمرار رعشاته المفتولة كحبل طويل:

- "ماذا أ؟ ابنه أ؟ أبي أ؟ آه من شتلني بأصابع هاتيك اللغة/ النفي أ؟ شجرة هي تمسي كغول لم تمشّطْ شعرها من ألف عام.. أي شجرة تلك! (قالت الصاعقة: إنها ا لـ جـ ـو ز..) تقعقع في صمتي الذي تَفَرّعَ فالتفع به الدنيا حولي في بداية

- "آه.. لماذا لا تذبحني؟   !   "

من إحدى عيني الكبش جاءت شمس تعكس شفرة السكين في دم الطائر، وعلى كفره بشموس ابنه استمر الأب   ومن عينه الأخرى خرج قمر طفلاً لم يزل.. لا يعرف معنى حَلِفٍ، يُولَدُ وَقَقَطْ، تلعَبُ هالاته في أنحاء المكان، وعلى حذر تداعب الأب جالساً فيبصق عليها، وقتها أخذت الصاعقة ذلك القمر وبَثَّتْهُ في أعواد خضراء لا زالت في طور تكوينها الأول.. فرّقتْه الأعواد على رءوسها أوراقاً تتفتّح وقت الصباح كحضن طفل -وفي المساء منها ما يتّسع كقلب طفل، ومنها ما يلتحفُ أوراقَهَ رعباً وينام- أوراقاً صباحيّة تنفرد أطرافُها العليا، وتلتقي أطرافها التحتانية فتظهر دائرتان تشبهان دائرتيْ الشمس والقمر اللّذيْن انشقّتْ عنهما عينُ الكبش.. دائرتان المسافة بينهما في بياض شعر أمّي الخيّاطةِ التي وَلَدَتْنِي في زمن من جسد الصحراء هزت فيه الجذع إذ أعلن أبناؤها جوعهم فلم يسقط رطباً، ولكن سقط أبي فَيَئِسَتْ.. نادى الطائر:

- "يا شمس التي يسقطها أبي افردي أذرعك حوالي.."

حينما ضحكت الشمس كان بكاؤها يتدفق في عروقها الضوئية، وتنبجس بركة الهاهات تتشربها الضحكة إلى حد بكائها.. وإذ تبكي تزيد مرارة، ويتخلّق منها طائر في حلقه، ونهض بجناحين.... راحا يكبران ليندفع بهما الطائر، وعلى حافة الشفتين كاد/.. /لكن لَحِقَ به نفسٌ حارٌّ

شيّط جناحيه، وأسقطه إلى الأرض فانغرس فيها. سأل زيدٌ الطائرُ صاحبَهُ قال:

- "يا..... إنه الحنظل."

تمددت أذرع الشمس، فصعدا وفي جيبه جثّةُ القمر المُبَلّلَةُ، وأراه الآن هناك...... هناك فصل ١/٢..................................

.... عدد ثلثاه الأول والأخير

"١٢" اثنا عشر.. كهوف الليل القديمة التي تبتلع شموس الزمن، والشرطة المائلة بينهما "نَظّارَتٌ" تهديها المدارس الابتدائية مجاناً للآباء..

كانت رائحة التعليم في الفصل١/٢ فائحة ككره عميق، وعاصفة لَقّنَتْ غريزتي درساً في تخريب العواصف لـ....، وبَيّنَتْ لي من أصوات العصا: لماذا لا يخرج الناس إلى المدارس أو غيرها وقت البرق الخاطف وهو يصيح كديناصور هائج خرج من السينما الغربية..

أراه في المقعد الأخير.. تهرب عيناه إلى ما في جزائر الزيتون والرمان المنفية من فصل ١٢، وأثناء هروبهما تتمشى عبر ذاكرتي موسيقى كأنما تصف الموت فتؤكد صورته في لاشعوري.. عيناه الهاربتان فارستان لهما أسفار بعيدة حاربتا هنا وهناك، وانتصرتا في كل حرب حتى أنهما حفرتا نفقاً هوائياً أسرعَ ترحلان عبره يومياً من فصل ١٢ إلى جزائر الرمان والزيتون. ومرة سافرتا إلى البيت فوجدتاه يسأل سلوى "ماما.. اشمعنه كل العيال ليها أب واحنا لأه..."

- أي صاحبي من تي جاءت من بين زحام السحب، وتقترب.. أولا ترهب كهف الشمس الجوعان، أم هي لا تعرف مثلي معنى رقم الفصل..

- امرأة لا تدري وطامحة، غريبة عنك، ولكنّك أحياناً تحتاج إليها.

تنقر الباب.. من أكمامها بزغ مخلوق صغير، عرياناً ارتمى عليه ريشٌ من كل مكان إلا من الفصل، وله منقار كأنّه يلتقط به حَبّاً نثرته أيدي الصاعقة على الباب. عندها تحول وجه المُدَرّسَةِ برزخاً يضيق حتى يصير كالمسافة بين نَقْرَتَيْ المخلوق الذي أكل، فَكَبُرَ، فنقر بسرعة وقوة كأنه يتعجل إنهاء الوجبة...

انفتح الباب ومن العجب أن يَفتح بابَ الجنة هذه المُدَرّسَةُ.. قالت الجريئة:

- بابا جاء..

- أه أه... آاااااااه عودي أيتها الفارستان؛ فجزائر الزيتون والرمان صارت عندنا..

أخذ يفكّكُ أيادي المسند الخشبيّ المحيطةِ به كامرأة العزيز.. كان قميصه قُرْبَ ينحل تماماً من عرق المسند، ثم قُدَّ من دبر حين نهض زيد كمن رأى برهان ربه، فنهض وفعل مسمار المسند فعلته..
امرأة المسند خدعها انهمار هرمونات النمو فيه في وقت قصير، فقارب شبهَ الرجالِ بلا مبرّر كأنّه الغيظ عامداً متعمّداً..
رأسه عطس، وصار المنفِيّ أو المنفَى حُضُوراً مُنْعِشاً في أعلى الجسد و/

- /أخيراً رجع..

(قال زيد)... وأول **سفر**جلة تطأطئ رأسها كذيلٍ مكسور، وكم قاء عليهـــا مرضـــى مـــن صـــفرة وجـــوههم.. طأطأتـــه!!!!!!!!!! وإنه رجع.
وإذ انتفض مذعوراً سأل صاحبه:

- ما ذا؟

- انفطار يكون..

وأثناء امتدادِ ضوءِ الشّمْس إذ تَعِبَتْ من فَرْدِ أذرعها عند حدود البيت انفطر من نحو ما ناقةٌ لها شرب، ولهم شرب يوم معلوم..

- أمي التي ولدتني لم تُزَعّلْ النّاقَةَ، بل طالما قَدّمَتْ لها من شربنا...........

.... وأخيراً..

في البيت كان المدخل أقصر مما يمكنه، بل إنه صار زيدٌ نجمةً ابتلعها مدارُ المدخل إلى باب حجرة "الجلوس"، وفيها الضيوف الذين يعرفهم كانوا حوله. والنيزك إذ يدخل جَوّ الأرض احتَرَقَ.
غريزة جامدة رَمَتْهُ في حضن الرجل الذي الضيوف حوله، وَحُمْرَةٌ اشتعلتْ في وجه زيدٍ كَأَنّهُ الوردة أحاطت بها مناقير الشوك، فطلعت أوراق الوردة حمراء كجرح.. يشكو للناس ويحسبونه يُغَنّي، واخضرارها يسوّده نقر الشوك. بَصَقَهُ صدرُ الرَّجُلُ على ركبتيه، وكان صقر يَطِيرُ وقتها، فسأل الصَّقْرُ صاحبَهَ:

- ما ذا؟

- إنه يقتله!

هناك أخذ الصقر طفلَ جارنا، وارتفع ارتفاعاً فوق ارتفاع، ثم بصقه إلى الأرض ونزل ليأكَلَهُ. آه كَأنّهُ رجل يبصق ظهره بين ركبتي، والأرض امرأة وسعت بين ركبتيها، ولكنها ليست قاسية كالنساء؛ إنه لم تُجْر الولد إلى بطنها كي تُنْجِبَهُ ثانية؛ لأنها تخاف عليه من الحياة.. وهل تَتَصَوَّرُ مهما تتصور أن الأرض -وهي أمُّنا الأولى التي ولدتنا مَرَّةً، فهي نادمة حتى الآن على تَعَبِنَا، ولعلّها سألت الله ألا تفعل ثانية- ترضى بموتنا للمرة الثانية.. تَرَكَتْ الولد للصَّقْر، ولم..

كانت الناقة تشرب، ولم نعطش قطّ. أما الرجل فلم يكن لوجهه لغةٌ معروفةٌ، ولا يعرف لغةً لنا.. عقر الناقة فجرى سقبها إلى الجبل خائفاً..

كنت سعيداً مع ذلك السقب المسكين وفوق قمته أعلن استغاثاته، وكان الرغاء الثلاثيّ، وبدأت تصحو كالطيور السوداء وفروع الشجر تهتزّ! الغريب أن أباً لم يكن موجوداً وإنما الغريب!!

وفجأة يسقطانِ زيد وصاحبه ولم يتجاوزا الذراع الأول...

- آه

إنه الكبش ورقبته فائرة الدفق كينبوع، ويوصيني بوليديه (فيحملهما

تحت جلده، وفي انكسار يرحل.. بصمات أبيه مطبوعة في الدم على السكين كأنها رسائل. مسح حد السكين بيديه فانفرطت ذريّة من عذابات الولد تتناثر في الأرض لتصير شجراً يحبل في تحوّلات أخرى متداخلةٍ سلفت أو تنتظر..

هو الطائر الوَلِهِ بموته، وموته انتقال عبر برازخ.. موت ما قبل الروح مستقرة في الجسد، ما قبل العطش الحقيقي، ما قبل أن تتفكك من ضلعي امرأتي حتى أحلم أنّها ولدت لي..

- "آه.. "

وبين كفيه بكى.

جعلوني:

يأكل الجمر يدي

يرضع الماء الذي ينجبُ..

شعراً في لساني..

<< مدرك:

التمر في وجه أبي يهرم لن
يأكله اللهُ...
ولكن حارس الدين البطينُ..
الناس زراع
وعُبّادُ عذاب>>

تخيط أمي للناس ملابسهم، ووالدي شقّ جلدي يبحث عن الشمس والقمر! وبُعَرِّيني جسداً صلصالاً طالما صوَّت كالفخّار حين ضَربَهُ.. (قال زيد)

منذ زواج أخته التي ليست سلوى، أو أخيه لغير أبيه، أو آخر وهو يلبس سترة جيوبها أنفاق من البكاء.. بلا قرار يمشي، ولأنه بغير روحه فلا يعرف وجه طريق! إنه وراء نفسه، ونفسه لا تعرف إلا نفسها لتلتذّ..

- جسد يحب ، أ؟ لا (قال لنفسه)... بل نعم، أحب روحاً تَعْطشت أباً غير الشّعر.. أباً يَثِبُ بين يَدَيْهِ إذ رأى ثمر الجنة.. أباً يضربه ويعاتبه ويصاحبه، ويستشيره كملك إسلامي.. أباً يُقبِّلُ يده إذْ يُوَدِّعُهُ، أو يجيء من سفر، يسأله أين كنت؟ وماذا تريد؟ فيجعله مَلِكَ بلاد الزهو اللامُرَتّبِ واللاحدود إذ يُظْهِرُ أبو زيد جزعاً ساخناً بَيْنَ ينجرحُ زيدٌ.. نعم أحب......

*** *** ***
*** ***
***

- آه.. كيف أزرع العذاب فيك يا جسدي بلا حساب.. .. .. .. أو تزرعه فيّ.

- أنت تهرب منك، وتعبد الإحساس بالذنب.. لعلّه المكتوبُ، وكيمياء الجسد!

- وهل أنا موجود حتى أثق فيّ أو لا أثق؟ بل أنت المسئول الأول.. تكبر كشهقةٍ عدّاءٍ مبتدئٍ، ولم ينفخ فيك أبٌ بعدُ..

- أمْرُ اللهِ ولو أرَدْتُ عصيانَهُ! أما استحكمت حلقتها من قبل مرات ومرات؟ فلا تَتَعجّلْ؛ إنك في أحد تحوُّلاتكَ..

- تحوُّلات قبل أن أخلق!؛ لست أعرف غيرك.

- بل... لكن بداية خط النصيب في كفيك معوجّة بتقطُّع. قد نتفاهم يوماً ما، وتعرفني كواحد لا اثنين.. أنا بيتك إذ تولد..

- حين ولادتي -يا صاحب الشارب الثقيل- قد أنت شيخاً محنيّاً.. كيف ستتفاهم مع مولودي..!

صيّروني..

شفتي جارية عميا تنازى

خلف سابيها ضباع رائله

- و ا ل أ ص ا ب ع ؟ !

- باعها الفرعون في سوق الضفادع << كان يا ما كان

إذ نحن صغاراً نذبح الضفدع..

حتى ندخل الجنة..>> آه (قال زيد)

إنه ليؤذيني ريح هؤلاء.. أما يؤذيك ريحهم!

لا يستحم وعليه جبة صوفاً -ليس زيداً- لأنّه عابدٌ، ورائحة فقهه لها ضغاء في الزمان أو تنهّق.. ضاقت المسافة بين الأسماء في ذاكرتي.

-ليس زيداً- يمر صباح الجمعة على البيت ويدخل في فمه راديو نحنحة ويا ساتر، ويقعد موهماً أنه لا يقصد أن يُظْهَرَ حجر جلبابه لأمّ زيد فتجود بما فيه القسمة الأسبوعية:

- رفقاً أيها الشيخ.. هل تكسرني بعصاك!

- حتى تتعلّمَ..

- أيها الغباء الثوري.. كيف؟! ومالي قدرة أن أعرف جسدي.. إنه غيري/ أو أنا في قوّةِ الغياب أبعث إليك بصوتي من امتدادات نفيي، ونفيي في صلصال كالفخّار. إذن فلست تعاملني أنا..

والعصا لم تفهم و/

- يؤذيني (قال زيد).

المفتاح الخمسون

1

فوق سرير أبيض، أغطيته بيضـــاء، والوقت والساعات والأيام كلّها بيضـاء.. يسـأل برشـامة تدخلـه فـي عـالم الأحـلام، فيعطونـه حقنـة "باربيتيوريت" وترسو رأسه على الوسادة كحكاية ثقيلة..

- لماذا تتوضأ بغير حد، ولا تقنعك صلاة واحدة..؟

- أنت!!

- ....

- تسري عبر عروقي في اللحظة مرات كرغبة حرارتها تحاول أن تحملني كمنطاد إلى حيث الهواء المنعش ولا تقدر، فتنتشر في جلدي كأفكار مطاردة..

أغسلها أو أحاول أن أغسلها رغم أنني أريدها، وتلذّ لي.. لكنْ لي وحدي، وبرغم إصراري كغبيٍّ جداً، فالماء لا يمسّها، وهي تتدثر بي كسرير وغطاء برونزيٍّ.. إنها أنت أثير عبري أو بعضك.

أي لا حدود أنت وهي أ؟ وأي حدود أنا أ؟ يُغَيِّبُ لا حدودُكَ عقلي وراء حدودي، وفي رحلتي أستنفد قسطاً لا بأس به من هرموناتي، فأعود كوسواس قهري بأن أرفضك ولا أرفضك..، وحواء في ضلعي كتشّيءٍ لأن تكون امرأةً كأيِّ امرأةٍ ترى لها نهدين وتلتذ بثورة فرجها كأنه بلد تحمي أولادها،

وأنت تحول مستمر يا غلامُ.... أي مسافة أنا بينكما أتسع إلى ما لا أطيق .....

.... ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟. ....!!!!! ....

،..........

مقلتي مزج جواد وبلادِ
أيقظت عيناك فيها
نارها الطفلةَ،
والطفلة جوعى،
وحقولي تشتهي رية عينيكِ
وشمساً

وجهك الشمس.. وها
يصرخ في لحمي
<< ولا وجه له>>
، ....، آ
ترابي لم يذق جذرك لا،
أو..
عطشت من جنبه المحروق
من طرحك حبـــــــــه

2

مكتوب على وجهه البكاء حين يضحك، والضحك فيبكي، والسفر حين يقيم، والنقص واسمه كامل الكفراوي..

- آلو.. أستاذ كا... /

/كفي أيتها العَجَلَةُ، وانمسحي من ذاكرتي.. خذي معك هذه الحجرة البيضاء برائحتها العارية إلا من بطء فيها. لا أريد أن أذكر ذلك الطبيب... يا ربي!!!

لا أدري لماذا عدت إلى ذلك المكان الأبيض. إلهي آه؛ يُذَكِّرُنِي بقلبي القديم! آه.. إذ تَفَجَّرَتْ -كانهيار سدٍّ عظيم- أنهارٌ من لبن النبض فيه، فاتسعت شرايين ذلك الجسد الملقى على السرير.. !!آه.. فليساعدْني الله ويخرجني..

أنفاسه تعلو.. وتعلو، تُخلخل أبنية الهواء في الحجرة، تمتدّ إليّ بوجه من لحم الصداع وعيناه استغاثات.. هههههه يا للعذاب!! لابد أن أقفز من رأسي، وأرمي تلك الحجرة بأثاثها الأبيض وطبيبها الأبيض، وذلك الجسد الملسوع الذي أعرف تفاصيله تماماً لأنّني أعرفني...

ابتعدي أيها الأنفاس؛ فليس بيننا الآن صلة.. نسيتك منذ أَنْجَبْتِنِي أَوْ أَنْجَبْتُكِ..

- أنت إذاً أبي..
- لست، هو عندك فوق السرير..
- هو أنت..
- الماضي!

- ماضيك..

- لا.. أيها الطبيب أي فراغ ممحوّ انسربت في سكونهفلا تسمعني؟! أنقذني.

- لا تتعب نفسك؛ إنه مثلنا -أنا وماضيك- ماضٍ. كنا في الطريق إليك.. فلماذا ترجع أنت كل تلك التحوّلات إلينا.. اسمح لي أن أتَحَسَّسَكَ.. .... .. يا للزمن.. حقاً تغيّرت كثيراً..

- ما أحنَّك الآنَ!

- وما كان أقساي! هي الذكرى..

- صَمَتُّ وقتاً عصرَتْنِي فيه أفكار لم يسجلّها الطبيبُ، وهي الآن تلاش. وأنت أيتها الأنفاس كنتِ هناك.. دخلْتِني، فهل تعرفين ما كان يجري في جسدي وقتها؟

- إنه يتذكّر.. .. آه لقد حَمَّلَني إشارات من الوجع ومن الحرارات! اعذرني يا آتي أني لسعتك وقت زفيري..... ....

.... أمِرْنَا نحن -أمة الأنفاس- ونحن في أصلاب الهواء أجِنَّةٌ أن نَخْدُمَ بني الإنسان. وآه! شدَّ ما أفزعني وجْهك الماضي اشتعلت فيه الدماء كنافورة نار، ورغم ما أمِرْنَا به فقد حاولتُ الهروبَ بعيداً عن أنفه، وكانت الحجرة ملفوفة بجدران حجرية. اختبأتُ في أحد الأركان كلا حيلةٍ أترقَّبُ..

كانت الأنفاس تنزلق من فيك كنفايات مُفَاعِلٍ ذَرّيٍّ، وفيك تنصهر أخرى.. لم تكن تخرج! كل ما رأيْتُهُ منها جزيئاتٌ تموت أو ميتة..

وقتها عائلتي جميعها ماتت.. ماتت في حجرة طبيب. ويا عالمُ.. هل نتعارف في تحوّلاتنا القادمة؟ فإن أبانا الهواء سوف ينقلنا بإذن الله إلى حقل قريب فيتناكحان على يد الشمس، وينجبانا في تحول جديد...

لم يعد هناك مريض واحد. وبعد وقت أضيق من امرأة تعسرت ولادتها لم يعد غيري من نبض الهواء المحبوس في قبضة الطبيب..

دلفْتُ إلى شقٍّ بين السقف وبين الجدار.. ويزيد اختناقك كلّما تنفّسْتَ أنت عائلتي الموتى.

قلت لي: "ادخلوا مساكنكم.."

ثم قلت لي: "إنه يسعى إلى البدء.."

قال: آااااااااااااااااااااااااااااااااااااه

قلت لي: "لمَ أهرب من مصيري أ؟ وقد خُلِقْتُ لذا.."

قال: إيييييييييه

قلت: "كم مات لهم، فلأكافئه بمرة موتي.."

كان الجنين انجذاباً إلى الخروج بغير وعي.. جارفاً لي بعيداً عن كل ا لـ ش قِ و قِ/ والسقوط..

وَرُحْتُ لم أعِ كثيراً، غير أنك كنتَ قاسِياً في صَهْري. تنازعَتْنِي وجوهٌ مُشَوَّهَةٌ، وأيادٍ سلَخَتْها لحظاتُ الذكرى، وقد أشفقت عليك وقتها ودمك نار يشتعل في هشيم لحمك..

- كفى.. كفى. لا تُكْمِلِي؛ عينك...... تنطفي وتكادين/

- /لا وقت.. تنفّسْنِي.. شاخ توهُّجِي.. أكره ذلك التحوّل القديم؛ فحمَّلَنِي ما لا طاقة لي به،... تَنَفّسْنِي وإلا مات الوقت ..

- (كان يجب أن أرسم أنفاً تتنفس، على العموم لك أن تتخيلها الآن وقد أخبرتك بما كنت أنتويه، المهم!!)

*هه

*بنيّ

*آه..

ما أحن صدرك الطيني

يا أرضاً بلا أرض..

*ذب في ابتسامة الذي يأتي

*... ولا يأتي...

و نمضي..

ابتعـــدي أيتهـــا الكـــلاب الســـوداء.. أيهـــا الراعـــي..

راعي أ؟ .... كان راعياً هو الآخر،

ولكنه أخبرني أن كلباً أسمر كان لأخيه الذي رباه حاول أن يعضه هو الآخر.....آه! لماذا لا أسير على طريق السيارة والسيارات [لأنك أدركت النزع]. من أنت؟! [آخر]........

.... وأصحو..... وملح الدمع كأنه عصارة مراكز تلفت في......... مخي...... آه. أيتها الأنفاس هل متّ فيّ؟! اخرجي؛ فلم أعد أحتمل!

أوه......إنه طريق لم يكن.... يتفتح كبرتقالة أكل قلبها الدود فتقشر ف،ويكاد في ذاكرتي (   ) وهذه قرية الراعي في آخره......

اخرجي أيتها الأنفاس.. فلا أريد أن أدخل هذه القرية ثانية. إنني أود الرجوع.. أو تسمعين؟! أتمنى أن أرجع.. اخرجي كأي جنيّ غليظ حتى ولو أفسد مخرجه..

هو.. إنه كامل..... هو وأنا والأرض نتخضرّ من تحتنا اثنانا ربا نبضهما فيهتزان بنفس تدفق اللبن.. أنا وهي. [هي اخضرّت وأعطت، وتفرح بالفلاح حين تراه.. ذلك ما قالوه، ولكنها من قبل كانت تخضر، وتعطي، وتفرح.. كان لها تيجان من الشجر العالي تزينه الطيور، ونزع هو ما استطاعته بطنه من تيجانها. صار يقال: أرض فلان، ولم تعد حرة.. سألتُ الله من قبل

أن لو نجد مخبأ تسرُ إليه بمقاساتها في وقت الجدب وفي وقت الولادة.. وهل استراحت ؟؟

لعلها خبأت تعبها في إبداع النبات، وفي جثة التراث التي ركبها صاحب الأرض ــــ فأوهمتني وقتها أنها أنا..

سلوى تتوهج كشهقة في عينيَّ.. تعبر من كل ما حولي نهراً مادًّا كفيه يصب لي من ماء عينيه لأتوضأ. نهش كامل جلده حتى أواسيه، ونزف، وكدفقة من حنان أبـ/بن شققت ثوبي لأربط الجرح عن النزيف... طالني الدم فأفسد وضوئي.

وهناك تصرخ سلوى كطائر الأسطورة الذي رجَّ اللوحة بدءاً، فوقع الفلاح من فوق دابة التراث. كانت نقرات سلوى تخرق عظم الدابة فيتسرب من نقرِ النقرْ ما فيها من أسرار..

قالت:

أعطى المصريون بني إسرائيل ذهباً كثيراً عن طيب خاطر فكان العجل..

.... وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه.

.... لم يكن هيرودوت منَّا كي يكتب عنا.

قلت لها: اسكتي

وقلت لي: اسكتي.. اسكتي..

قالت: جعل الكهنة البقرة إلهاً ليحلبوها وحدهم.

و قلْ لها: اسكتي..

و قلتُ لي: اسكتي.. اسكتي

و قلْ لي: سلوى يلفني إحساسي المحشوّ بالأحلام ميتاً و حياً

و في شرايبني -كأنه أبي- يثور و جهه....

ينادي.. أي نهر ضاحك-/ /أو فاغر..

و قلت لي:- <<أحبه.. أحبه>>

أحتاجه يا سلوى أو..

أصير نبتة في وجهك المبثوث أنهارا

و دفئاً أخضر اً صبياً

و قالت لها:- الموت هاجم <<و ها

عيناه تطوفان فرسان،

و في أظفاره انهيار >>

قلت لي: اجري يا سلوى..

بكت و قلــ ــهيَ ليـ ــها: إلى بلاد تحتسي انتحارة

الرؤى.. و تشتهي توجع الموتى..

وز فرة...

........آآآه

بعد صمت نطق صاحب الجسد المضطجع على السرير الأبيض:

وزفرة إذا نحن كتمنا الشعر في أعماقنا..

فغيبتنا في رمادها بقايا

مـــــــــــــن كبريــــــــــــــــاء

ملك...

....

....

....

....

وصار.. في البدء كانـــــــــه، وكان كامل الكفراوي، أنا يمارس لذة الثلاثاء في لحمه، ولمن يحب ورود اللحم فإنها عند أنا بسكينه، ويرصع لحمه بتوابل الشعر للذي يريد..

يلتذ بفقدي وعتابي قدر ما يستطيع في كل تحول؛ لأنه أصر علــى غــيري، كلمـــا انشـــقت أرضـــه عـــني دهســـني كامل الثلاثاء، حتى إذا انسرب إلينا وجه الأربعاء من لعنـــة شـابة لم أجد إلا أنا وبقاياي التي تحمل آثار قدم لا نعرفها..

<< كم يوجع أن تري حديقتك تُرْضِع حدائقهم.. ثم إن عطشَتْ أرضُكِ.. مسحوا عيونهم..... كتب لسلوى>>

رَكَّزَ عينيه في اتجاه الأمام، وابتعد بصرُهُ.. إلى مسرحه المحفور في جمجمتِهِ، نزل من فوق المسرح إلى جمهوره يعتذر إليهم وهم يسـألون: لماذا؟! وأشار بإسدال الستار!!

<< إن في عيني دمعتين أحبسهما جاهداً حتى أصير رجلاً ولو مرة واحدة في حياتي كما يرغب.. كتب لسلوى>>

وقتها أَصَرَّتْ دمعةٌ أن تسقطَ فقال:

- بكاؤكما يشفي وإن كان لا يُجْدِي

وقلت:- كأن تسقط الورداتُ.. مهلاً على وردي

وقال:- بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ

فقال:- والوقت يجري وأنت بعدُ مقتولُ

سَرَتْ سلوى في لحم ذاكرتي كرعشةٍ، فانْتَفَضَ أنا، وَقَالَ له:

- رفرفت ذكراي في الماضي الذبيح

وأنا قلت:- أيـا قلب اتـئد

فــــأجـــاب القلب كالشلو الجريح

- لم عدنا؟! ليت أنَّا لم نعد

ومسَحْنَا الدَّمْعَ فَانْهَدَّ ضريحي....

ومشينا ....

>>أغلق عينيك.. خلِّل مساماتك بالكلمة مرات ومرات.. وايأس بزيادة........ ....

....

<<لا أظلمهم.. ما كان لهم من ذنْبٍ...

لكن جميعهم قبض. أنا الطفل الذي باعوا له "شعر البنات"، فأخَذَتْهُ وهو في طريقه إلى البيت سنةٌ..

(ينام فيها النصف الهالك..

ويستيقظ النصف الحي)

وتفر شمس الحلم من فصل ١/٢

غير أن ساعة الغروب كانت تحين حتماً، فيحمل بقناعة كرامة الوهم ملفوفة في خيوط الشمس العجوز، ويهيل عليها ظلام كهوف الشمس، ويدقّ وتداً في رأسه..

كتب لسلوى>>

<<وقتها يصحو من نومه، وفي ملابسه بلل يُوجب الغُسْلَ، وشَعْر البنت نائم نوماً ثقيلاً بين يديه..

وإذ يغتسل يُخلّل بين شعر ذقنه السمراء، كأنّها امرأة لم يُحِسّ بوجودِها فعاتَبَتْهُ، ولا يجد ردّاً..

فيبكي... كتب لسلوى>>

>>هنا لم أعد في احتياج إلى أن أقول لك أغلق عينيك. أنت حر.. فاقتربَ إتيانه.. أنا أراه قال الطبيب<<

<<تصوّري ابنك شحاذاً في موقف سيّارات.. واسترجعي أوجه السائقين والناس ساعة قيلولة صيفاً كتب لسلوى>>

ثم انفجر بكاءً، فسلوى ارتعاش أمٍّ تَوَجَّعَ ابنُها جُوعاً أو أبوها إعياءً. جعلت تحملق في إسماعيلها آدم وهو يتلوّى ويتلبّط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه مستقبلة الوادي تنظر هل ترى من أحد ثم سعت سعْيَ إنسان مجهود حتى إذا جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها ونظرت هل ترى من أحد فلم تر، فعلت ذلك سبع مرات فلما كانت المرة الأخيرة أشرفت على المروة.. نزلت الصاعقة في يدٍ سحابة بِكْرٌ، وفي يدٍ فسيلةٌ زَرَعَتْهَا، وحفرت منطقة وضعت فيها السحابة. في غير وقت كبرت النخلة، وقالت الصاعقة:

- "هزّي إليك بجذعها.."

فتساقطت عليهما رطبٌ جنياً.. أكلا. ونادت الصاعقة:

- ذِمّي.. ذمّي! أغرقي الصحارى كزمن جديد، فلا يهدد بيتهما أحد.

ونزلت الصاعقة.. أضْجَعَتْ إسماعيلَ.. شَقَّتْ صدرَه كَنَسْمَةٍ مُرْهَفَةٍ.. تَحَكَّمَتْ في الأوردة والشرايين الممتدّة إلى الكف، فرسمت خط النّصيب مستقيماً متصلاً جعلت أوله من خط الحياة، وألغت أوله القريب من السوار، كما ألغت رحلته من تلّ القمر إلى تل زحل. سَكَبَتْ حديداً بالغ السواد في دم الفتى فسار تحت جلده، وأنبت شعراً أسود جداً..

ثم هي تا تعطف إبهامه إلى الخلف، فيبكي وجعاً، فتستغيث سلوى بالصاعقة. تعطفه أكثر.. حتى صَيَّرَتْهُ قوساً مرناً. ولا يمكن معرفة ما كان بين الصاعقة وبين سلوى حتى أنها أطفأت استغاثاتها.. صيرتها صامتة كأمٍّ سترى وليدها بعد قليل فتستلذُّ الوجع، والصاعقة الطبيب..

- النخلة عندكما وقت اشتهاء أو جوع: تغنيكما فلا تبعد عنها.. خذ منها فَتَتَحَدّثَ يدك بلغة لم تعرفها... ... هيا اقترب وقت الصلاة.. إنها بداية أو نهاية تحوّلٍ. الحدود لا تَمَّحِي كالفجأة فتعرفا..

تـذكرا النخلـة والبيـت............ ذمـي ذمـي.... ذمـي موجـاً كالجبـال (ونادى إسـماعيل فـي خلـق كثيـر، فقـالوا سـنأوي إلـى جبـل.. نَسِـيَهُمْ إسـماعيلُ أو ينساهم)

- وآدم (قالت سلوى) أيتها الماء كوني زَوْرَقاً به إلينا..

- آدم نفخة توقظ مضغة ابنك.. ها هي بدأت تشيع في جلدة رأسه..

وعطـس.. بلغـت النفخـة فعطـس.. جلبـة الغرقـى واسـتغاثات الخلـق الكثير تَشُقُّ الجو من حوله أنصافاً أنصافاً.. بلغت صـدره فَصَحَتْ صـاحبةُ الموت لوقت ما، نَفَضَتْ غُبَارَ السَّنَواتِ التـي سَـلَفَتْ، ومسـحت تَأَوُّهاتِهَـا عن جدران الصدر.. وعوعة ابن آوى تَتَرَادُّ كغبار معركةٍ صعبةٍ.

وإذ تَبْعث المضغةُ سراياها الحمراء إلى كل عضو ،فتتأكد من استقامة خـط النصـيب واسـتمراره كقـرارٍ مصـيريٍّ.. أخـذت جيوشـها تفـتح أراضـي الجسد، فإن امتنع عضوٌ حاصرتْهُ في ضغطٍ شديدٍ حتى الاستسلام! ولـم يكن أمام الآتي مِن العصيان غير أن يموت تحت أقدام خيول الدَّم العاديات ضبحاً، فالموريات قدحاً، فالمغيرات صبحاً وكيـف لا يستسـلم وقـد أعمـى أصابعَهُ النقعُ..

- آه..

هل بقي من التحوّل يا سلوى؛ فلقد تعبْتُ إلى حدِّ النومِ المُصِرِّ..

ربتت سلوى على كتفيه، فنام نـوم إنسـان مجهـوداً جـداً، وهـي لما طغى الماء

حمَلَتْهُ في كفَّيْها، وَجَرَتْ -رغم علمها بالمكتوب- مدفوعة كـأمٍّ أدركـت قرب

الفراق.. تعتلي حجراً إلى هضبة إلى تل إلى جبل، وطغى الماء.

وهي تغرق صاحت فيه:

- لا تَمُتْ..

أَوَ تَفْهَمُنِي! ينتظرك الطائر وأختُك سلوى عند المسـجد.. مهمـا غِبْـتَ فهما مزروعان هناك.. قَلْبُكَ لا بد أن يستمِرّ تولَـدُ منـه شـمس ويسـتحم في أحضانه القمر...

راحلة...

ولا تَنْتَبِهْ لصياحاتهم؛ فقد صار إبهامُك قوساً مَرناً، وشعرُ كَفَّيْـكَ أعمـقَ سواداً.

اسمع: إنه ينشد <<لن تموتا>> إنه منتظر يدعوك <<أنت بدئ.. أنت بدئي>>.. نعم هو.. هل تسمعه!. والنفخة تسري كأرفق أب <<ذات يوم ألتقيكا>>

قالت الأم وتحولت. وإذ يبلغ الماءُ **ما تبقى** من ذراعيها، فكفاها زورقٌ له.. نَسِيَ وجهَها الذي حلَّ مكانَهُ وجهُ أختٍ طيِّبَةٍ.. كان لابد أن ينساها -ولو وقتاً- وقد ألغيت الرحلة من القمر إلى زحل

....

....

..... الزمن الآن ليس سهلاً عليه إطلاقاً كأَمَرِّ دواءٍ..

- يداي حنطة..
  هي الذنوب..
  واغتراب مستقر كجبلْ..
- **إنها وجهك ابدأه واحصد**

  وكلْ

- إلهي..
  آه لا تَكْسُنِي ذلك الثوب،
  وانزع عنّي جسدي.. إنه حيَّة
  نحّها إلى جزائر البُخُور
  ضعفي حديدة يضربني بها أخي
  فيبوء بإثمي
  وقلبي غراب
  وصرختي/
  ضحكتي صفصافة فاردة أذرعها في لحم أيامي..
  تلقف جبهتي..
- **أفراراً مني**

- والله لا يا رب.. وإنما طين وجهي منمزج
  بسنابل صفراء فارغة حياء
  السموات والأرض تأبت..
  والجبال هربت،........
  تخاف إن خرجت..

وإن بقيت أخاف....
أضلاعها أمة مخاطبون
ومكلفون
يخافون السبعة أبواب
هجّ طائر الإثمد من عينيها،........
وسقط من بين أناملها "اقرأ"،
فيها بحيرة من عطاس لكن..
تتحسسها أصابع امحاء
غيومها ليست لوفد عاد
تدخلني الحجر وبكائي معي
ووجهها استنثار
لا تلد ذنباً لفيل،..... ولا وقت..
يعطش فيه سنابل النهار..
غير أنها تحفر في حلقي بحراً من الرهبه
يلبسها فينيق.. تموز.. عشتروت
تسيح في دمي مرة..
ومرة تصير صلبه
هي الموت..!

- لا.

- لا أدري.. هذه "فهد" عيناها تنبآنني بكلمتي..
.. تخاف أو أخاف،
وجهها أربعاء

- **مكانك.. إنه اختبار..**

- أفعل ماذا!
حنك النهر ينظر ني لأرحلَ
عربتي من جواد من حمأ
لكن جواديها جمرتان لن
تسجدا..
وهاجم عليّ آب..
سفينتي لم تصر بعدُ ذات ألواح ودسر
ماذا أرجّي..

إنه...!

- **قلها..**

- لو قلتها صارت سحابة سوداء
لو قلتها تغرقني صاعقة من دمها المحشوّ..
بالحلم الذي يبكي تحت جلدها..
لو قلتها أصير شيئاً وأنا..
أريد أن أصير لا شيئا

امحني..
السواد يحفر السماء مثل باحثٍ..
وجائعا
وجه نبينا بعيد..
من وجهه نهران نحونا..
وقبل أن يعانقا نا فراغٍ..
إلهي الزمان منجنيقٌ
وكلمتيِ لو أعبرها..
ومضيقٌ
تعبرني
ووجهي..........
إلهي

- برد وسلام

- هل أستطيع..
إنني إنسان.

الله أكبر الله أكبر **الله أكبر الله أكبر**

أشهد أن لا إله إلا الله **أشهد أن لا إله إلا الله**

ويصحو من نومه جسمه اندهاش يزيد (

ويزيد.

لا زال صوت الصاعقة يمتد من طيات نومه إلى أذنيه كفكرة مُلِحّةٍ. هو يقظ جِداً إلا من دهشته.. لقد أخْبَرَتْهُ عن مسجدٍ ما وصدقت.. زاره وجه الأذان في نومه وها هي ته أصابعه تتعامل مع يقظٍ جداً.. يحفّ المكانَ كأجنحة الملائكة، وها تِهِ هي سخونة دمه في تحوّلها إلى برد وسلام، والحنطة.... الحنطة التي ماتت لن يأكلها غيرُ زيد/الطائر/وسلوى عند المسجد وليستمرّ نعاس الأشياء الحجريُّ من حوله كوسواسٍ قهري إلى الأبد.

صار إبهامه قوساً، فنعاسهم لا يؤذيه إذ هو حيّ.. نعم حيٌّ..!

- يا رب.

واهتز الجبل..<<يا عبد... صلّ>>

يمد كفيه -بعد جلوس- إلى الماء حول الزورق حتى يتوضّأ. يتوضأ مرة واحدة ثم هو ذا قائماً يصلي. ليس من بعيد مَرّ نبيٌّ.. اهتز في حضرته زيد وربا، أخذ يعلّمه كيف يصلي وقال:

- صل كما رأيتني أصلي.

صلى في بكاء مختلف داعياً بمجيء أبيه آدم، وأثناء الصلاة ارتبك.. راح يسعى كتائه جديد يبحث عن النبي؛ فقد نسي كيف يصلي.. نسي.

- ماذا أ؟ أ؟

أنا أمشي على الماء؟! (قال زيد، فتـــا د ى صـــــــوت مهيب من أساس البيت في صدره.. كان الصـــو ت صوت النبي:

- ارجع.. إنه فيك!

- فيَّ؟!

- ، .

- فيّ أ؟

وإذ تأكل صقور الشمس أجساد الغرقى، وليس غيره وغير خطى... خطى ليست لأحد عَرَقَهُ، إلا إذ كان ذلك في زمن بعيد......... بعيد .... جداً...

وها المسْجد ظهر! وَقْعُ الخطى يعلو مع إقامة الصلاة، ويعلو تحت جلده ومن أبعاد لا يدركها أو يذّكرها.. تجمّع صاحب الخطى في عيني الطائر/..... . تجمع كفرحة العيد في زيد مستمر،

.... من فرط سعادته راح يقرأ على المتجمع درجاته العالية في امتحانات آخر العام، والمتجمع يبتسم.. يخبره ..... بكذا وكذا ثم وقف و.....

ولا أحد معه.. وكَبَّرَ..

-

- الله أكبر.... هل أعجبك يا أبي

- ....

- أنا أصلي معك..

أصلي كما أراك تصلي.. وأنا سمعت وقع خطاك ما ألذها..

بسم الله الرحمن الرحيم

-

-

-

-

.... يكبر ولا أحد معه

الكاتب/

أحمد خسن محمد حسن بصل

كلية التربية جامعة الزقازيق

هاتف: ٣٨٣٣٤٦١

العنوان:

محافظة الشرقية– مركز ديرب نجم قرية صافور

رسوم: د/ إكرامي قورة

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٠٦٤ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-374-192-3

دار الإسلام للطباعة والنشر

٠٥٠/٢٢٦٦٢٢٠ - ٠١٢٢٢٦١٤٣٦٣